الرسالة إلى القديسين في

كولوسي

إنّ الدخول إلى رسالة كولوسي نفسها، والتأمّل من جديد في فكرها الموحى به والمُصـوغ بلغةٍ موحى بها، وجعل نور هذا الفكر وقوّته يملآن النفس ويُقوِلبان الحياة، تلك كلُّها غنى لهذا الزمان وللأبدية.

ر.س.هـ. لنسكي ***R.C.H.Lenski***

١ـ المكانة الفريدة بين الأسفار القانونية

وجّه بولس معظم رسائله إلى جماعات مسيحيّة تقطن مدنًا كبيرة أو هامّة: روما، كورنثوس، أفسس، فيلبي. أمّا كولوســي، فلا تدخل في عداد هذه المدن العظيمة. فحتّى جماعة المؤمنين هناك، لم تشــتهر في بداية تاريخ الكنيسة. وباختصار، لولا هذه الرسالة الموحى بها والموجّهة إلى المسيحيين هناك، لما كان اسم كولوسي معروفًا اليوم إلاّ لدى تلامذة التاريخ القديم.

إنّ هذه الرســالة التي بعث بها الرســول هي في منتهى الأهميّة، وذلك على الرغم من عدم أهميّة المكان. هذا وإن الفصل الأوّل من كل من رســالتي كولوسي والعبرانيين ومن إنجيل يوحنا يعرض أعظم وصف للألوهية المطلقة لربّنا يســوع المســيح. وبما أنّ هذه العقيدة هي أساسيّة ورئيسيّة لكلّ الحقّ المسيحي، فلابدّ من التشديد كثيرًا على مدى قيمتها وأهميتها.

كذلك تحتوى الرسالة على تعاليم غنية حول العلائق، والديانة الطقسيّة، والحياة المسيحيّة.

٢ـ الكاتب

قَبِلَ الجميع أنَّ بولس هو كاتب الرسالة إلى كولوسي، ولم يشكِّكوا في هذا الأمر إلى حين حلول القرن التاسع عشر. وهذا يؤكِّد مدى شمولية الدليل الإيجابي. كذلك، **فالدليل الخارجي** هو قوى بشكل خاص. فمن بين الذين اقتبسوا هذه الرسالة، مع تصريحهم أحيانًا بأنَّ بولس هو الكاتب، نذكر مثلاً أغناطيوس ويوستينيوس الشهيد وثيوفيلوس الأنطاكي وإيرينايوس وإكليمندس الإسكندري وترتوليانوس وأوريجانوس. كذلك يعترف كل من قانوني ماركيون وموراتوري بأنَّ الرسالة إلى كولوسي هي صحيحة وقانونيَّة.

أمَّا **البرهان الداخلي** فيدل على أنَّ الكاتب يذكر ثلاث مرَّات أنَّه بولس (١:١، ٢٣؛ ٤:١٨)، كما أنَّ محتوى الرسالة يتوافق مع هذه التصريحات. هذا لأنَّه أمرٌ مميّز عند الرسول أن يعرض العقيدة ويُتبعها من ثم بكلام عن الواجبات. ولعل البرهان الأكثر إقناعًا على صحة هذه الرسالة هو ارتباطها الوثيق بالرسالة إلى فليمون، والتي يوافق الجميع على أنَّ بولس هو الذي كتبها. كما إنَّ خمسة من جملة الرجال المذكورين في هذه الرسالة القصيرة (فليمون)، ورد ذكرهم أيضًا في الرسالة إلى كولوسي. كذلك الناقد رينان *Renan* نفسه تأثَّر جدًّا بهذه الأمور المشتركة مع الرسالة إلى فليمون، على الرغم من أنَّه ظلَّ يراعي بعض الشكوك حول الرسالة إلى كولوسي.

إنَّ الحجج المعطاة لدحض أن يكون بولس هو الكاتب، تتركَّز على التعابير اللغوية، وعلى العقيدة المختصة بالمسيح، وعلى الإشارات الظاهريَّة إلى الغنوسيَّة أو الأدريَّة *Gnosticism*. فبالنسبة إلى النقطة الأولى، جاءت تعابير جديدة في رسالة كولوسي لتحلّ مكان كلمات بولس المفضّلة. إنَّ سالمون *Salmon* الدَّارس الإنكليزي المحافظ من القرن الفائت، ردّ بشيء من السخريَّة على هذه الحجَّة بالقول: "لا أستطيع أن أقبل بالرأي القائل إن الإنسان الذي يتوخى الجدّة في الكتابة لا يحق له، تحت طائلة فقدانه هويَّته، أن يستخدم أيَّة كلمة لم يستخدمها من قبل". أمَّا في ما يتعلق بالعقيدة عن المسيح في كولوسي، فهي تتماشى مع ما ورد بهذا الشأن في رسالة فيلبي وفي إنجيل يوحنا. لذا، فالذين يرغبون في إجراء تحويلات في حقيقة لاهوت المسيح لجعلها تطوّرًا من الوثنية يعود عهده إلى القرن الثاني، هؤلاء وحدهم يواجهون صعوبة بالنسبة إلى هذه العقيدة.

وبالنسبة إلى الغنوسية، يرى الدارس الأسكتلندي المتحرر موفات *Moffat* أنَّ الغنوسية، في مرحلتها الأولى، كما هي معروضة في الرسالة إلى كولوسي، قد تكون وُجدت في القرن الأوَّل.

إذًا، إنَّها لحقيقة راسخة ودامغة أنَّ بولس هو كاتب الرسالة إلى كولوسي.

٣ـ التاريخ

لكون رسالة كولوسي واحدة من "رسائل السجن"، فمن المحتمل أن يعود تاريخها إلى فترة السنتين اللتين احتُجز خلالهما بولس في قيصريَّة (أع ٢٣:٢٣؛ ٢٤:٢٧). لكن، وبما أنَّ المبشر فيلبس كان مضيف بولس هناك، فلا يُعقل أن يهمل بولس ذكره، وهو المعروف عنه بأنَّه ذلك المسيحي اللطيف والكيِّس. كذلك اقتُرح الاعتقال في

أفسس كمكان كتابة الرسالة، مع أنَّ الاحتمالات تبدو أقلّ هنا. وهكذا يبقى الوقت الأنسب لكتابة هذه الرسالة ورسالة فليمون في منتصف الحبس الروماني الأول لبولس، أي نحو العام ٦٠ (أع٢٨: ٣٠، ٣١).

وكما يصحّ دائمًا، فمن الخير أنَّ فهمنا لمضمون كتاب معيَّن، لا يعتمد على معرفتنا الكاملة بالظروف التي رافقت كتابته.

٤. الخلفية والموضوع

كانت كولوسي مدينة من منطقة فيريجيّة، في البلاد المعروفة الآن بآسيا الصغرى. كانت تقع على بُعد نحو ستة عشر كيلو مترًا إلى الشرق من لاودكية، وعلى مسافة نحو عشرين كيلومترًا إلى الجهة الجنوبية الشرقيّة من هيرابوليس (راجع ٤: ١٣). كانت تبعد نحو مئة وستين كيلومترًا عن أفسس إلى جهة الشرق، في أول معبرٍ جبلي من سلسلة الجبال الكادمية *Cadmiam mountain range* (وهو وادٍ ضيق يبلغ طوله نحو تسعة عشر كيلومترًا)، وعلى الطريق العسكريّة من الفرات نحو الغرب. كانت كولوسي على نهر ليكوس *Lycus River* (أو نهر الذئب)، الذي يصب غربًا في نهر مايندر *Maeander River* بُعيد اجتيازه بلاودكية. وهناك تختلط مياه الينابيع الساخنة في هيرابوليس بالمياه الباردة من كولوسي، لينتج من ذلك حالة من "الفتور" في لاودكية. كانت هيرابوليس مصحًّا ومركزًا دينيًا في آن، فيما كانت لاودكية تُعدّ المدينة الأم في ذلك الوادي؛ وكانت كولوسي أضخم من كل منهما وأعظم منهما قبل أزمنة تدوين العهد الجديد. ويُظن أنَّ هذا الاسم له علاقة ربما بالكلمة "كولوسس" *Colossus*، من الأشكال الرائعة والمدهشة لصخورها الجيرية.

لا نعلم بشكل أكيد كيف وصل الإنجيل لأول مرة إلى كولوسي. فعندما كتب بولس هذه الرسالة، لم يكن قد تقابل مع المؤمنين هناك (٢: ١). والرأي السائد هو أنَّ أبفراس كان أوّل من نقل بشارة الخلاص إلى هذه المدينة (١: ٧). ويعتقد كثيرون أنَّه كان قد اهتدى على يد بولس خلال مدة الثلاث سنوات التي مكثها الرسول في أفسس. ففريجية كانت تشكّل جزءًا من مستعمرة آسيا، وبولس كان مقيمًا في فريجية (أعمال ١٦: ٦؛ ١٨: ٢٣)، لكن ليس في كولوسي (٢: ١).

كذلك لا نعلم من الرسالة أنَّ تعليمًا مغلوطًا عُرف بالغنوسية (الأدريّة) بلغ أوجه في ما بعد، وبدأ يهدد الكنيسة في كولوسي. لقد كان الغنوسيون يتباهون بمعرفتهم (باليونانية غنوسز *Gnosis*) فادَّعوا اقتناءهم معلومات تفوق معلومات الرسل، وهكذا حاولوا أن يولّدوا انطباعًا مفاده أنَّه من غير الممكن أن يشعر الإنسان بالسعادة الحقيقيّة ما لم يتعرّف أوّلاً بما تتضمّنه طريقة عبادتهم من أسرار عميقة.

كان بعض الغنوسيين ينكرون أنَّ المسيح كان إنسانًا حقًا. وهكذا علّموا أنَّ "المسيح" كان "تأثيرًا" إلهيًّا جاء من الله، وحلَّ على الإنسان يسوع عند معموديته. إلى ذلك، علّموا أيضًا أنَّ المسيح فارق يسوع قبيل صلبه. وفي

نظرهم، نتج من ذلك موت يسوع، من دون أن يموت المسيح.

علّمت بعض الفئات الغنوسية بوجود درجات أو مستويات متنوّعة من الكائنات الروحية بين الله والمادة. وهكذا تبنّوا هذه النظرية في محاولتهم توضيح ما هو أصل الشرّ.

يعلّق "أ.ت. روبرستون" *A.T.Robertson* على هذا بالقول:

كان البحث الغنوسي يُعنى، بشكل رئيسي، بأصل الكون وبوجود الشر. فافترض أصحابه أنّ الله صالح، ومع هذا، فالوجود لا يخلو من الشر. لذا اعتبروا في نظريتهم أنّ الشرّ هو في جوهر المادة. لكن، ما كان باستطاعة الله الصالح أن يخلق مادة شريرة. لذا افترضوا وجود مجموعة من الانبثاقات، والأيونات، والأرواح، والملائكة، توسّطت بين الله والمادة. والفكرة هي أنّ أحد الأيونات صدر عن الله، ثم انبثق أيون آخر عن الأيون الأول، وهكذا دواليك حتى ظهر ذلك الأيون البعيد جدًّا عن الله بشكل لا يتلوث الله معه بخلق عالم المادة، والقريب ما فيه الكفاية لتكون له القدرة والسلطان على إنجاز العمل.

كان بعض الغنوسيين، في اعتقادهم أنّ الجسد هو في حدّ ذاته شرير، يمارسون التقشف، وهو نظام لنكران الذات، بل لتعذيب الذات، وذلك في محاولتهم بلوغ حالة روحيّة أسمى. أمّا الآخرون فذهبوا إلى النقيض الآخر في استرسالهم وراء الشهوات الجسدية على اعتبار أنّ الجسد هو غير هام في نظرهم، وأنّ لا تأثير له البتّة في حياة الإنسان الروحيّة.

كذلك كانت هناك في كولوسي، على ما يبدو، آثار لانحرافين آخرين: اللاناموسيّة *Antinomianism* واليهوديّة. فاللاناموسيّة هي التعليم القائل بأنّ الإنسان في عصر النعمة لا حاجة له إلى ممارسة ضبط النفس، بل يحق له إطلاق العنان لشهواته ولرغباته الجسديّة، كما أنّ يهودية العهد القديم كانت قد انحطت لتتحوّل إلى نظام من حفظ الطقوس الدينية كان الإنسان يرجو بواسطتها أن يتبرر أمام الله.

إنّ الضلالات التي برزت في كولوسي، ما تزال تواجهنا اليوم. فالغنوسية كادت تظهر من خلال جماعة العلم المسيحي *Christian Science*، ومن خلال جماعة المعرفة الإشراقيّة *Theosophy*، والمورمونيّة *Mormonism*، وشهود يهوه *Jehovah's Witnesses*، ومذهب التوحيد *Unity*، وأنظمة أخرى. كذلك، فإن اللاناموسيّة تميّز جميع القائلين إنّ باستطاعتنا العيش على هوانا بسبب وجودنا في عصر النعمة. واليهوديّة، كانت، في الأصل، إعلانًا إلهيًّا، كما كان القصد من طقوسها واحتفالاتها تعليم حقائق روحيّة بشكل رموز كما تُظهر الرسالة إلى العبرانيين بالإضافة إلى أجزاء أخرى من العهد الجديد. لكنّها تحوّلت إلى نظام باتت الطقوس والممارسات فيه تُعتبر أنّها تمنح، بحد ذاتها، استحقاقًا، وهكذا تمّ، إلى حدّ كبير، تجاهل المعنى الروحي الكامن فيها. وتقابلها اليوم الأنظمة الدينية المتعددة التي تعلّم أنّه باستطاعة الإنسان أن يكسب لنفسه استحقاقًا وحظوة لدى الله على أساس أعماله، متجاهلاً بذلك أو ناكرًا حالته الخاطئة وحاجته إلى الخلاص الذي مصدره الله وحده.

وفى رسالة كولوسي يدحض الرسول هذه الضلالات جميعها من خلال إظهاره أمجاد شخص الربّ يسوع المسيح وعمله.

هذه الرسالة تشبه، بشكل واضح، الرسالة إلى أفسس. غير أنّه مجرّد شبه من دون تكرار. فأفسس ترى المؤمنين جالسين مع المسيح في السماويّات، فيما تراهم كولوسي على الأرض، مع المسيح رأسهم الممجّد في السماء. إنّ التشديد في افسس هو على أنّ المؤمن في المسيح؛ أمّا كولوسي، فتتحدّث عن كون المسيح في المؤمن، رجاء المجد. وفى أفسس، التركيز هو على الكنيسة بصفتها "جسد" المسيح «ملء الذي يملأ الكلّ في الكلّ» (أف١: ٢٣)، لذا ورد التشديد على وحدة جسد المسيح؛ أمّا في كولوسي، فيتكلّم الرسول بشيء من الإسهاب، في الفصل الأوّل، عن المسيح بصفته الرأس، لكي يعود فيركز على ضرورة «تمسّكنا بالرأس» (٢: ١٨، ١٩)، والخضوع له. ثمة أربعة وخمسون عددًا في أفسس من أصل مئة وخمسة وخمسين عددًا، هي شبيهة بكولوسي في مضمونها.

التقسيم

١. **عقيدة تفوّق المسيح** (أص ١، ٢)

أ. التحية (١: ١، ٢).

ب. شكر بولس وصلاته لأجل المؤمنين (١: ٣- ١٤).

ج. أمجاد المسيح رأس الكنيسة (١: ١٥- ٢٣).

د. الخدمة الموكولة إلى بولس (١: ٢٤- ٢٩).

هـ. كفاية المسيح في وجه مخاطر الفلسفة، والناموسيّة، والتصوّف، والتقشّف (٢: ١- ٢٣).

٢. **واجب المؤمن تُجاه المسيح المتفوّق** (أص٣، ٤).

أ. حياة المؤمن الجديدة: خلع الإنسان العتيق ولبس الجديد (٣: ١- ١٧).

ب. التصرّف اللائق بأفراد البيت المسيحي (٣: ١٨ - ٤: ١)

ج. المؤمن وحياة الصلاة عنده وشهادته بالحياة وبالكلام (٤: ٢- ٦).

د. تلميحات إلى بعض معاوني بولس (٤: ٧- ١٤).

هـ. تحيّات وتعليمات (٤: ١٥- ١٨).

التفسير

١ـ عقيدة تفوّق المسيح (أص١، ٢)

أ. التحية (١: ١، ٢)

١: ١ كانت العادة، في زمن كتابة العهد الجديد، أن تبدأ الرسالة باسم الكاتب. لذا يقدّم **بولس** نفسه بصفته **رسول يسوع المسيح بمشيئة الله**. كان **الرسول** شخصًا عيّنه الرب يسوع وأرسله كمبعوث عنه. والرسل قد أُعطوا القدرة على صنع المعجزات، وذلك بقصد تثبيت الرسالة التي كرزوا بها (٢كو١٢: ١٢). إلى ذلك، نقرأ أنّ الروح القدس كان يُعطى، في بعض الحالات، متى كان الرسل يضعون أيديهم على المؤمنين (أع٨: ١٥-٢٠؛ ١٩: ٦). ليس يوجد في العالم الآن أي رسل بالمعنى الحصري للكلمة، وإنّه لضرب من الجهل أن يدّعي الناس أنّهم خلفاء مجموعة الاثنى عشر الأولين. ويرى كثيرون في ضوء أفسس ٢: ٢٠ أن موهبتي الرسوليّة والنبوة قديمًا كانتا تعنيان، بشكل رئيسي، بعمل تأسيس الكنيسة، بالمفارقة مع عمل المبشّرين، والرعاة، والمعلّمين (أف٤: ١١)، والذي سيبقى مستمرًا طوال التدبير الحالي، أي عصر النعمة.

يربط بولس رسوليّته **بمشيئة الله**، (راجع أيضًا أعمال ٩: ١٥؛ غلاطية ١: ١). فهذا الأمر لم يكن وظيفة اختارها لنفسه أو درّبه الناس عليها. ولا كلّفه البشر القيام بهذه الخدمة. فرسوليّته لم تكن «من الناس» (من حيث مصدرها)، ولا «بإنسان» (بصفته الأداة). لكنّه يقوم بخدمته بجملتها، ولديه الإدراك الجليل بأنّ الله نفسه قد اختاره ليكون رسولاً.

كان **تيموثاوس** الأخ مع بولس وقت كتابة هذه الرسالة. حسنٌ أن نلاحظ هنا انتفاءً تامًا للرسميّات في موقف بولس من تيموثاوس. فكلاهما كان أخًا ضمنَ كيان واحد مشترك، ولم يكن هناك أيّة فكرة عن هرميّة من أصحاب المقامات الكنسيّة الذين يحملون ألقابًا طنانة ويلبسون ثيابًا مميّزة.

٢: ١ هذه الرسالة هي موجهة إلى **القديسين في كولوسي والإخوة المؤمنين في المسيح**. أمامنا الآن اسمان من جملة الأسماء الجميلة والمحبّبة إلى النفس، والتي يسبغها العهد الجديد على المؤمنين جميعهم. إنّهم **قديسون**، بمعنى أنّهم مفروزون لله من العالم، ويلزمهم، من ثمّ، أن يعيشوا حياة مقدّسة. والعبارة «**الإخوة المؤمنون**» تشير إلى أنّهم أولاد الآب السماوي نفسه بالإيمان بالربّ يسوع؛ إنّهم إخوة وأخوات مؤمنون. كما أنّ المسيحيّين يُدعَون أيضًا تلاميذ ومؤمنين في مقاطع أخرى من العهد الجديد.

في المسيح، تشير إلى مقامهم الروحي. فعندما اختبروا الخلاص، جعلهم الله في المسيح، وأنعم عليهم في المحبوب. ومنذ ذلك الوقت، صارت لهم حياته وطبيعته. كما أنّ الله لن يعود، منذ ذلك الوقت، يراهم كأولاد لآدم أو كأناس ساقطين، بل يراهم كما لو أنّه يرى ابنه الحبيب نفسه. هذا لأنّ العبارة «**في المسيح**»، توحي بالعلاقة الحميمة، وبالمقبوليّة، وبالأمان، أكثر ممّا باستطاعة أي ذهن بشري استيعابه. أمّا الموقع الجغرافي لهؤلاء المؤمنين، فمُشار إليه بالعبارة **في كولوسي**. ونحن لم نكن لنسمع أبدًا بهذه المدينة لو لم يُكرز بالإنجيل هناك وتخلص النفوس.

بولس يحيّي الآن القديسين مستخدمًا التحيّة المحبّبة: **نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح**. ما من كلمتين أفضل من **النعمة والسلام** لاحتواء البركات المسيحية واستيعابها. **فالنعمة** كانت من التعابير اليونانيّة المألوفة، فيما **السلام** كان التحيّة المألوفة لدى اليهود؛ وهاتان الكلمتان كانتا تُستخدمان عند التلاقي أو عند الفراق. لقد وحّدهما بولس ورفّعهما من جهة معناهما واستخدامهما. **فالنعمة** تصوّر الله منحنيًا بكلّ محبّة وحنان للبلوغ إلى بشريّة خاطئة وهالكة؛ ومن جهة أخرى، يوجز السلام كل ما ينتج في حياة الإنسان عندما يقبل نعمة الله كهبة مجانيّة. قال ر.ج.لتل *R.G.Little*: "قد تعني النعمة أشياء كثيرة، وهي أشبه بحوالة مصرفيّة مفتوحة. والسلام، بالمقابل، هو، بكل تأكيد، جزء من ميراث المسيحي، وينبغي لنا ألاّ ندع الشيطان يسلبنا إيّاه". ثمة أهميّة لترتيب هاتين الكلمتين: **فالنعمة** تأتي أوّلاً، ثم **السلام**. فلو لم يعاملنا الله أوّلاً بالمحبّة والرحمة، لبقينا الآن في خطايانا. لكنّ، بما أنّه أخذ المبادرة، وأرسل ابنه ليموت عنّا، فباستطاعتنا الآن أن ننعم بالسلام مع الله، وبالسلام مع الإنسان، وبسلام الله في نفوسنا. ورغم كل ما قلناه تعليقًا على هاتين الكلمتين، يبقى المرء عاجزًا عن تمكّنه من التعريف الوافي بمعانيهما العميقة.

ب. *شكر بولس وصلاته لأجل المؤمنين* (١: ٣-١٤)

١: ٣ بعد أن حيّى الرسول هؤلاء القديسين بهذه العبارة التي باتت شعار المسيحيّة، ينتقل إلى أمر آخر مميّز لديه، وهو أنّه يخرّ على ركبتيه **بالشكر** والصلاة. فالرسول، وعلى ما يبدو، كان يبدأ صلاته دائمًا بتسبيح الرب، ولنا في هذا مثال يُحتذى به. إنّ صلاته موجّهة إلى الله **وأبي ربنا يسوع المسيح**. والصلاة هي امتياز لا يُعبَّر عنه، امتياز الدخول إلى محضر إلهنا، سيّد الكون أجمع. لكن قد يسأل أحدنا: "كيف يتجرّأ مجرّد إنسان أن يقف في الحضرة المخيفة لله المتسامي والمتعالي بلا حدود؟" والجواب عن هذا السؤال هو في هذا العدد. فالله، إله الكون المهوب والمجيد هو **أبو ربنا يسوع المسيح**. وعلى هذا الأساس، أصبح الله المتسامي جدًّا قريبًا جدًّا. وبما أنّنا، نحن المؤمنين بالمسيح، نشاركه في حياته، فإنّ الله هو أبونا أيضًا (يو ٢٠: ١٧). لذا باستطاعتنا الاقتراب إليه من خلال المسيح.

مُصلّين كل حين لأجلكم: إذا نظرنا إلى هذه العبارة بحدّ ذاتها قد لا تلفت أنظارنا، إلاّ أنّها تكتسب معنى جديدًا عندما نعلم أنّها تصف اهتمام بولس بقوم لم يقابلهم قط. نحن غالبًا ما نواجه صعوبة في تذكّر أقربائنا وأصدقائنا أمام عرش النعمة، لكن فكّر في قائمة الصلاة التي كان قد احتفظ بها بولس. فهو صلّى لا لأجل معارفه فحسب، بل أيضًا لأجل المسيحيين القاطنين في الأماكن النائية، والتي وصلت إليه أخبارهم. حقًّا، إنّ صلاة بولس التي لا تعرف الكلل أو الملل، تساعدنا على فهمه بشكل أفضل.

١: ٤ كان قد سمع بإيمان الكولوسيين بالمسيح يسوع وبمحبّتهم لجميع القديسين. إنّه يذكر أوّلاً **إيمانهم بالمسيح يسوع**. من هنا علينا دائمًا أن نبدأ. ففي العالم اليوم عدد كبير من المتديّنين الذين يتحدثون باستمرار عن محبتهم للآخرين. لكن، إذا تقصيّت حقيقتهم، فستتبيّن لك أنّه ليس لديهم أي إيمان بالرب يسوع. إنّ محبّة كهذه هي فارغة وباطلة. ومن جهة أخرى، ثمة

أولئك الذين يدّعون أنّ لهم **إيمانًا بالمسيح**، لكن تسعى عبثًا للعثور على أي دليل **للمحبة** في حياتهم. فمن شأن بولس أيضًا أن يشكّك في إخلاص إيمان هؤلاء. يجب أن يتوافر الإيمان الصادق بالمخلِّص، وهذا الإيمان يجب أن يتبرهن بحياة تتّسم بالمحبة لله ولأخينا الإنسان.

يتحدّث بولس عن كون **الإيمان هو في المسيح يسوع**. ومن الأهميّة بمكان أن نلاحظ هذا. فالكتاب المقدّس يجعل الربّ يسوع المسيح دائمًا موضوع إيماننا. فأحد الأشخاص قد يكون له ثقة بلا حدود في مصرف ما، لكن هذه الثقة ستكون صحيحة وفعّالة إذا كان هذا المصرف أهلاً لها. فالثقة وحدها لا تضمن سلامة ما أودعناه من مال، إن كانت إدارة هذا المصرف غير حكيمة. وهذه هي الحال بالنسبة إلى الحياة الروحية أيضًا: فالإيمان، بحدّ ذاته، لا يكفي، بل وجب تركيز هذا الإيمان في شخص الربّ يسوع المسيح. وبما أنّ الربّ لا يمكن أن يفشل البتّة، فإنّه لن يَخزى أبدًا كلّ من يثق به.

وكون بولس قد سمع **بإيمانهم وبمحبتهم**، يؤكد لنا أنّهم لم يكونوا مؤمنين في الخفاء، وفي الواقع، لا يعطى العهد الجديد سوى تشجيع قليل لكلّ من يلتمس أن يبقى تلميذًا خفيًّا للربّ يسوع. وكلمة الله تعلّم أنّ كلّ من قَبِل المخلِّص حقًّا، لا بد له من الاعتراف جهارًا بالمسيح.

كانت محبة الكولوسيين تشمل **جميع القديسين**. وكانت هذه المحبّة تتخطّى حدود الكنيسة المحليّة، كما أنّها كانت تخلو من أيّ تحزّب. لم يكونوا يحبون أفراد جماعتهم وحدهم، بل حيثما وجدوا مؤمنين حقيقيين، كانت محبّتهم تجرى إليهم بصراحة وبحرارة. هذا يجب أن يكون درسًا لنا حتّى لا تبقى محبتنا ضيّقة أو محصورة ضمن نطاق جماعتنا المحليّة، أو موجّهة إلى المرسلين الذين هم من بلادنا. يلزمنا أن نعرف خراف المسيح حيثما كانوا، ونظهر تعاطفنا معهم قدر المستطاع.

١: ٥ ليس واضحًا تمامًا ارتباط هذا العدد بما سبق. فهل يتعلّق بالعدد الثالث «نشكر... **من أجل الرجاء الموضوع لكم في السماوات**»؟ أم يتعلّق بالجزء الأخير من العدد الرابع: «محبتكم لجميع القديسين... **من أجل الرجاء الموضوع لكم في السماوات**». كلا التفسيران محتمل. فالرسول ربما يشكر، لا على إيمانهم وعلى محبتهم فحسب، بل أيضًا على الميراث الذي سيكون من نصيبهم ذات يوم. ومن جهة أخرى، يصحّ القول أيضًا أنّنا نمارس إيماننا بالمسيح ومحبّتنا لجميع القديسين في ضوء ما نرجو حصوله في المستقبل. وعلى كل حال باستطاعتنا أن نرى كيف يُعدّد بولس هنا الفضائل الرئيسيّة الثلاث في الحياة المسيحية: الإيمان، والمحبة، والرجاء. هذه الفضائل هي مذكورة أيضًا في ١ كورنثوس ١٣: ١٣؛ ١تسالونيكي ١: ٣؛ ٥: ٨. ويقول لايتفوت *Lightfoot* "الإيمان يستريح على الماضي؛ فيما المحبّة تعمل في الحاضر، والرجاء يتطلّع نحو المستقبل".

إنّ **الرجاء**، بحسب هذا العدد، لا يعني موقف الانتظار أو النظر قُدُمًا إلى شيء ما، لكنّه يشير بالحرى إلى ما يرجوه المرء. وهنا يُقصد به تتميم خلاصنا عندما نؤخذ إلى السماء وندخل ميراثنا الأبدي. كان الكولوسيون قد سمعوا بهذا **الرجاء** قبلاً، ربّما عندما كرز لهم أبفراس بالإنجيل. فما سمعوه وُصف بأنّه **كلمة حق الإنجيل**. والإنجيل يظهر هنا بصفته رسالة من الأخبار السارة **الحقيقيّة**. ولعلّ بولس كان يفكّر في تعاليم الغنوسيين **المضلّة** لدى كتابته هذا. لقد عرّف أحدهم الحق بأنّه ما يقوله الله بشأن أمر ما (يو١٧: ١٧). لذا **فالإنجيل** هو حق لأنّه كلمة الله.

١: ٦ إنَّ حق الإنجيل حضر إلى الكولوسيين كما في كل العالم المعروف آنذاك. وهذا الأمر يجب عدم اتّخاذه بمعناه المطلق، إذ إنّه لا يمكن أن يعني أنّ جميع الناس في العالم، من رجال ونساء، كانوا قد سمعوا رسالة الإنجيل. لكنّه قد يعني، جزئيًّا، أنّ بعض القوم من كل أمّة كانوا قد سمعوا الأخبار السّارة المختصّة بالخلاص (أع ٢). كذلك قد يعني أنّ الإنجيل كان لجميع الناس، وكان يُذاع وينتشر من دون وضع أيّة قيود على ذلك. كما أنّ بولس يصف النتائج الحتمية التي يُحدثها الإنجيل. فهو أثمر ونما (كما أوردت بعض المخطوطات) في كولوسي كما في كل المناطق الأخرى من العالم حيث كُرز به. وهذا التصريح يُقصد منه إظهار أنّ للإنجيل صفة خارقة للطبيعة. ففي الطبيعة عادة لا يثمر النبات وينمو في الوقت عينه. إنّه يحتاج إلى تشذيب مستمر لكي يأتي بثمر. لأنّه في حال تُرك النبات لينمو من دون أي ضابط، فستتحوّل عندئذ حياة هذا النبات كلها إلى الأوراق والأغصان، عوضًا عن إنتاج الثمر. لكن الإنجيل يقوم بالعملين معًا في آنٍ. فهو يثمر في خلاص النفوس وبنيان القدّيسين، كما أنّه ينتشر من مدينة إلى مدينة، ومن أمّة إلى أمّة.

وهذا بالتمام ما فعله الإنجيل في حياة أهل كولوسي منذ يوم سمعوا وعرفوا نعمة الله بالحقيقة. ذلك لأنّ كنيسة كولوسي شهدت نموًّا عدديًّا، بالإضافة إلى النموّ الروحي في حياة المؤمنين هناك.

يبدو أنّ الإنجيل انتشر على نطاق واسع في القرن الأوّل، حتى بلغ أوروبا، وآسيا، وإفريقيا، فوصل بذلك إلى أبعد ممّا يظن الكثيرون. ومع هذا، لا أساس للقول بأنّ الإنجيل كان قد غطّى الأرض كلّها. إنّ العبارة «نعمة الله» استُخدمت هنا كوصف جميل ومُحبّب لرسالة الإنجيل. وهل ما هو أجمل، لتلخيص الأخبار السارة، من الحق المدهش عن نعمة الله الممنوحة لأناس مذنبين يستحقون غضب الله!

١: ٧ يصرّح الرسول، بوضوح، أنّ المؤمنين كانوا قد سمعوا رسالة الإنجيل من أبفراس، ومن ثمّ عرفوها بشكل اختباري في حياتهم. وبولس يُسني على أبفراس ويمدحه بصفته العبد الحبيب معنا والخادم الأمين للمسيح لأجلكم. لم يكن الرسول بولس ليراعي أيّة مشاعر مرارة أو غيرة. لم يكن ينزعج لرؤيّة خادم آخر ينال المديح. وفي الواقع، كان سبّاقًا إلى التعبير عن تقديره لخدام الربّ الآخرين.

١: ٨ كان بولس قد سمع من أبفراس نفسه عن محبة مؤمني كولوسي في الروح. ما كانت هذه مجرد عاطفة بشرية، بل محبة صادقة للربّ ولشعبه بعمل الروح القدس الساكن داخل المؤمن. وهذه هي الإشارة الفريدة والوحيدة إلى الروح القدس في هذه الرسالة.

١: ٩ بعد أن إختتم بولس شُكره يبدأ الآن برفع تشفّعات محدّدة لأجل القديسين. لقد سبق لنا أن ذكرنا مدى اتّساع رقعة اهتمامات الرسول في مجال الصلاة. كما أنّه ينبغي أن نشير أيضًا إلى أنّ طلباته كانت دائمًا تناسب حاجة شعب الله في مكان محدّد. فهو لم يكن يصلّي على نحو عام. إنّه هنا يرفع، كما يبدو، أربع طلبات منفصلة لأجل المؤمنين في كولوسي: ١- الفهم الروحي؛ ٢- السلوك اللائق؛ ٣- القوة الوافرة؛ ٤- الروح الشكور.

مـا كانت طلباتـه حقيرة ولا ضئيلة بأي شـكل من الأشـكال. وهذا ما يتّضح على نحو خـاص في الأعداد ٩، ١٠، ١١ من خـلال تكراره للفظـة «كلّ». ١- «في كلّ حكمة وفهم روحـي» (ع٩). ٢- «في كلّ رضى» (ع١٠). ٣- «في كلّ عمل صالح» (ع١٠). ٤- «بكلّ قوة» (ع١١). ٥- «لكلّ صبر وطول أناة» (ع١١).

من أجل ذلك: عبارة مرتبطة بالأعداد السابقة. وهي تعـني في ضوء مـا أخبر به أبفراس عنكـم (ع٤، ٥، ٨) فهو، منذ سمع عن هؤلاء القديسين الطيبين في كولوسي، وعن إيمانهم ومحبتهم ورجائهم، عزم أن يصلي باستمرار لأجلهـم. لقد صلى أولاً لكي **يمتلئوا من معرفة الله بكل حكمة وفهم روحي**. لم يسـأل أن يكتفـوا بالمعرفة التي كان يتباهـى بها الغنوسـيون. كان يريد لهم أن يصبح لديهم **معرفـة** كاملة بإرادة الله لحياتهم كما هي معلنة في كلمته تعـالى. وهـذه المعرفة ما كانـت على أسـاس عالمي أو جسـدي، بل كانت تتميّـز **بالحكمة وبالفهـم الروحيين**: الحكمة لتحقيق المعرفـة على أكمل وجه، والفهم لرؤية ما يتفق مع إرادة الله أو يتضارب معها.

١: ١٠ يرتبـط العـدد العاشـر ارتباطًا وثيقًـا بالعدد التاسـع. فلمـاذا يريد الرسـول بولـس للمؤمنين في كولوسـي أن يمتلئوا مـن معرفـة إرادة الله؟ هل لكي يصبحـوا وعّاظًـا مقتدريـن، أو معلّمين مشـهورين؟ أم لكـي يجتذبـوا وراءهم أتباعًا كثيريـن، كما كانت الحال بالنسـبة إلى الغنوسـيين؟ كلاّ، فالقصد السليم من الحكمـة والفهـم الروحيّين هو تأهيل المسـيحيّين **للسـلوك كما يحق للـربّ في كل رضى**. لنـا هنا درس هام جدًّا حول موضوع الإرشـاد. فـالله لا يعلن إرادته لنا لإشباع فضوليتنا. ولا القصد من ذلك تعزيز طموحنا أو كبريائنـا. لكنّ الرب يظهر لنـا إرادته لحياتنا حتى يتسنّى لنا أن نرضيه في كل طرقنا.

مثمريـن في كل عمل صالح. لنا هنا تذكير مفيد بأنّه، ومع أنّ الإنسان لا يخلص **بواسطة** الأعمال الصالحة، إلاّ أنّه يخلص بكل تأكيد **لأجل** أعمال صالحة. ونحن أحيانًا، في معرض تشـديدنا على عدم جدوى الأعمال الصالحة لخـلاص النفوس، قـد تولّد لدى الآخريـن انطباعًا بأنّ المسـيحيّين لا يؤمنون بالأعمال الصالحة. ولا شيء قد يكـون أبعدَ من هذا عن الحقّ. فنحن نتعلّم من أفسـس ٢: ١٠ أنّنا «عمله مخلوقين في المسـيح يسـوع لأعمال صالحة». كذلـك كتب بولس لتيطـس: «صادقة هي الكلمـة. وأريد أن تقرر هذه الأمـور لكي يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالاً حسنة» (تي٣: ٨).

لم يكن بولس يريد لهم أن يأتوا بثمر **في كل عمل صالح** فحسـب، بل أن يـزدادوا أيضًا **في معرفـة الله**. وكيف يحصـل ذلك؟ أوّلاً هذا يتم من خلال دراسـة كلمة الله باجتهاد. ثم نختبر ذلك عندما نطيع تعاليم الربّ ونخدمه بأمانـة. (يبدو أنّ الفكرة الأخيرة هي البارزة هنا). وإذ نمـارس هذه الأمـور، يصبح لدينا **معرفـة** أعمق بالربّ: «لنعرفْ، فلنتتبّع لنعرفَ الربّ» (هو٦: ٣).

لنلاحظ تكرار الكلمات المتعلّقة بالمعرفة في الفصل الأوّل، لكـي نتحقّق من أنّ ثمة تطـوّرًا واضحًا وتقدّمًا في الفكـرة في كلّ مـرة. ففي العدد السـادس **عرفوا** «نعمـة الله». وفي العدد التاسـع، كانت لهم «**معرفة** إرادته». وفي العدد العاشـر، كانوا **ينمون** في «**معرفة** الله». لربّما كان باستطاعتنا القول إنّ المرّة الأولى تشير

إلى الخلاص، فيما المرة الثانية تشير إلى دراسة الكتاب المقدس، والثالثة إلى الخدمة والحياة المسيحيّة. فالعقيدة الصحيحة يجب أن تقود إلى السلوك الصحيح، المعبِّر عن نفسه من خلال الخدمة المطيعة.

١:١١ إنَّ طلبة الرسول الثالثة لأجل القديسين هي أن **يتقوّوا بكل قوة بحسب قدرة مجده.** (لاحظ التطوّر التالي: تمتلئوا، ع٩؛ مثمرين، ع١٠؛ متقوّين، ع١١). فالحياة المسيحية لا يمكن أن تُمارس بواسطة مجرّد الطاقة البشريّة، لكنّها تستلزم قوّة خارقة. لذا يرغب بولس في أن يتعرّف المؤمنون بقوّة ابن الله المُقام. بالإضافة إلى ذلك، فهو يريد لهم أن يعرفوا هذه القوّة **بحسب قدرة مجده.** والطلبة هنا ليست أن تأتيهم هذه القوّة من قدرة مجده، بل بحسب قدرة مجده. لا حدود لقدرة مجده، وهذا أيضًا هو نطاق الصلاة. يكتب بيك *Peake* في هذا المجال: "إنَّ التعزيز بالقوّة لا يتناسب مع حاجة الإنسان فحسب، بل يكون أيضًا على مستوى المخزون الإلهي".

لماذا كان بولس يريد للمسيحيين أن يتمتّعوا بهذه القوة؟ هل لكي يخرجوا ويصنعوا عجائب مُدهشة؟ أم لكي يتسنّى لهم أن يقيموا الموتى، ويشفوا المرضى ويخرجوا الشياطين؟ إنَّ الجواب مرّة أخرى هو "كلاّ" ذلك لأنَّ الولد من أولاد الله يحتاج إلى هذه القوة لكي يحصل على **كل صبر وطول أناة بفرح.** حريٌّ بنا أن نُعير هذا الأمر اهتمامًا خاصًا. ففي ألحاء كثيرة من العالم المسيحي اليوم، يُجعل التركيز على ما يُسمى عجائب، كالتكلّم بألسنة مثلاً، وإبراء المرضى، وأعمال مثيرة أخرى. لكن ثمّة عجيبة أعظم من هذه جميعها في عصرنا هذا: حالة أحد أولاد الله الذي يتألّم بصبر ويشكر الله في وسط التجربة.

في ١ كورنثوس ١٣: ٤، ارتبطت الأناة بالرفق أو باللطف؛ أمّا هنا، فترتبط **بالفرح.** نحن نتألّم لأنَّ لا مفرّ لنا من مشاركتنا الخليقة في أنينها. لذا نحتاج إلى قوّة الله للمحافظة على الفرح في دواخلنا وعلى اللطف في تعاملنا مع الآخرين في الخارج. وهذا يشكّل جوهر الانتصار المسيحي. لقد وُصف الفرق بين **الصبر وطول الأناة** بأنّه كالفرق بين الاحتمال من دون تذمّر، والاحتمال من دون التفكير في أخذ الثأر. لقد تمكّنت نعمة الله من إنجاز أحد أعظم الأهداف في حياة المؤمن الذي باستطاعته أن يتألّم بصبر ويبقى يُسبّح الله في وسط التجربة المحرقة.

١:١٢ إنَّ الكلمة «**شاكرين**» تشير في هذا العدد إلى مؤمني كولوسي، لا إلى بولس، فالرسول يصلي لأجلهم هنا، لا لكي يتشدّدوا بكل قوّة فحسب، بل ليتمتعوا أيضًا بكل روح شكورة حتّى لا يفوتهم البتّة أن يُعبّروا عن عرفانهم بالجميل للآب الذي **أهّلهم لشركة ميراث القديسين في النور.** فبصفتنا أولادًا لآدم، لم نكن أهلاً للتمتّع بأمجاد السماء. وفي الواقع، لو أُتيح، بشكل أو بآخر، لأناس غير مخلّصين أن يؤخذوا إلى السماء، لما نعموا بذلك، بل شعروا بالحري بالشقاء في أعمق أشكاله. هذا لأنَّ تقديرنا للسماء يستوجب أوّلاً أن نكون أهلاً لها. وحتى نحن المؤمنين بالرب يسوع، لسنا في ذواتنا أهلاً للسماء. فحقّنا الوحيد بالمجد هو في شخص الربّ يسوع المسيح:

استند إلى استحقاق الرب، ولا سند لي سواه،
حتى حيث يسكن المجد هناك في أرض عمانوئيل.

آن روس كازن ***Anne Ross Cousin***

عندما يخلّص الله شخصًا ما، فإنّه يمنحه للوقت أهليّة للسماء. وهذه الأهليّة هي المسيح. ولا يستطيع أي شيء أن يُدخل تحسينات على هذا حتى لو عاش الإنسان طوال عمره في الطاعة وفي الخدمة، فإنّ حياته المكرّسة هذه لن تجعله أكثر أهليّة للسماء ممّا كان عليه يوم آمن فنال الخلاص. هذا لأنّ حقّنا في المجد، أساسه دم المسيح. وبينما الميراث **هو في النور** «ومحفوظ لأجلنا في السماوات»، فنحن المؤمنين على الأرض لنا الروح القدس الذي هو «عربون ميراثنا». لذا باستطاعتنا الابتهاج بما ينتظرنا، فيما نتمتّع الآن «بباكورة الروح».

١٣:١ الله، وفي معرض جعلنا أهلاً «لشركة ميراث القديسين في النور»، **أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته** (راجع ١يوحنا ٢:١١). ولنا خير إيضاح لهذا في ما اختبره بنو إسرائيل في القديم، كما هو مُدوّن في سفر الخروج. كانوا يعيشون في مصر آنيّن تحت سياط المسخّرين هناك. ثم تدخّل الله بشكل عجيب، فأنقذهم من هذه العبودية المرعبة، وقادهم عبر البرية إلى أرض الموعد. وهكذا كنّا نحن أيضًا خطاة مستعبَدين للشيطان، لكنّنا اختبرنا **الإنقاذ** من قبضته بواسطة المسيح، وأصبحنا الآن رعايا **ملكوت** المسيح. تتّسم مملكة الشيطان **بالظلمة**: النور غاب عنها، كما أيضًا الدفء والفرح. أمّا ملكوت المسيح، بالمقابل، فيتأسّس على **المحبة** التي تشير ضمنًا إلى توافر هذه الثلاثة جميعها.

إنّ **ملكوت** المسيح، يُرى في الكتاب المقدس من عدّة أوجه مختلفة. ففي مجيئه الأوّل إلى الأرض، عرض على الأمة القديمة مملكة بالمعنى الحرفي للكلمة. لكن اليهود كانوا يبغون إنقاذًا من الظالم الروماني، ولم يريدوا أن يتوبوا عن خطاياهم. والمسيح ما كان يمكن أن يملك إلاّ على شعب في علاقة روحية سليمة به. وهكذا عندما اتّضح هذا الأمر لليهود، رفضوا مَلِكهم وصلبوه. ومنذ ذلك الحين، رجع الربّ يسوع إلى السماء، وبات الملكوت الآن ذا صورة سرّيّة (متى ١٣). وهذا يعني أن الملكوت لا يظهر بشكل مرئي ومنظور. فالملك الآن غائب؛ لكن جميع الذين يقبلون الربّ يسوع في الزمان الحاضر، يقرّون بأنّه الحاكم الذي له حق السيادة عليهم، وهكذا يصبحون رعايا ملكوته. وسيأتي اليوم الذي فيه يعود الربّ يسوع إلى الأرض ليؤسّس مملكته، وعاصمتها أورشليم، وهكذا يملك على مدى ألف سنة. وفي نهاية هذه الفترة، سيجعل المسيح جميع أعدائه تحت قدميه، ومن ثمّ يسلّم المُلك لله الآب. وسيشهد هذا افتتاح الملكوت الأبدي الذي سيستمر طوال الأبدية.

١٤:١ يعرض بولس الآن، وبعد كلامه عن ملكوت ابن محبة الله، نصًّا يُعتبر من النصوص العظمى في كلمة الله حول شخص الربّ يسوع وعمله. إنّه لمن الصعب علينا أن نعرف هل كان قد اختتم صلاته، أو ما يزال يواصلها في هذه الأعداد التي نحن بصدد دراستها. لكن هذا الأمر ليس بذي أهمية بالغة، إن كانت الأعداد التالية لا تشكّل صلاة حقيقيّة، فإنّها تشكّل، بكل تأكيد، عبادة حقيقيّة.

لقد أشار شتُرز *Sturz* إلى أنّه "في هذا النص العجيب الذي يرفع المسيح ويعظّمه أكثر من أي نص آخر، لم يرد اسم المسيح ولو مرّة واحدة، وبأي شكل من الأشكال". ومع أنّ هذا الأمر قد يثير الانتباه، غير

أنّه يجب ألاّ نستغربه؛ إذ مَن غير مخلّصنا المُبارك يتمّ فيه هذا الوصف المعروض علينا هنا؟ وهذا النص يذكّرنا بالسؤال الذي كانت قد طرحته مريم على البستاني: «يا سيّد، إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه» (يو ٢٠: ١٥). فهي لم تذكر اسم الربّ، لكن كان ثمة شخص واحد فقط في ذهنها.

فالمسيح معروض علينا أوّلاً كالذي **لنا فيه الفداء*** ... **غفران الخطايا**. يصف الفداء العمل الذي على أساسه تمّ شراؤنا من سوق نخاسة الخطية. وكأنّما الربّ يسوع جعل لنا ثمنًا. لكن، إلى أي حدّ قدّرنا، وأيّة قيمة غالية كانت لنا في نظره؟ لقد قال ما معناه: "إنّي أقدّرهم جدًّا حتى أنّي مستعد أن أسفك دمي لشرائهم". وبما أنّنا قد اُشتُرينا بهذا الثمن الهائل، يجب أن يتّضح لنا أنّنا لم نعد ملكًا لأنفسنا؛ لقد اشتُرينا بثمن. إذًا، علينا ألاّ نعيش حياتنا على هوانا. لقد صرّح بوردن اليالي *Borden of Yale* أنّه في حال أخذنا حياتنا بأيدينا لكي نعمل بها ما نشاء، نكون بذلك قد أخذنا ما لا يخصّنا، ومن ثم نظهر كسارقين.

وهو لم يفدنا فحسب، بل منحنا أيضًا **غفران الخطايا**. وهذا يعني أنّ الله محا الدَين المترتّب علينا من جرّاء خطايانا. فالربّ يسوع المسيح دفع الثمن وكابد العقاب على الصليب؛ ولا داعي البتّة إلى دفع هذا الثمن ثانية. فالحساب حُسم أمره وانتهى، والله لم يغفر لنا فحسب، بل «كبعد المشرق من المغرب أبعد عنّا معاصينا» (مز ١٠٣: ١٢).

* إنّ الكلمة «بدمه» وردت بلاشك في النص الموازي في أفسس ١: ٧، لكن هنا في كولوسي لم توردها أيّة مخطوطة من المخطوطات القديمة أو المخطوطات اليونانية.

ج. *أمجاد المسيح، رأس الكنيسة* (١: ١٥-٢٣)

١: ١٥ لنا في الأعداد الأربعة التالية وصفٌ للرب يسوع: ١- في علاقته بالله (ع١٥)؛ ٢- في علاقته بالخليقة (ع١٦، ١٧)؛ ٣- في علاقته بالكنيسة (ع١٨).

لقد وُصف الرب هنا بأنّه **صورة الله غير المنظور**. والكلمة «صورة» تحمل معها فكرتين على الأقل: أوّلاً فكرة أنّ الربّ يسوع قد مكّننا من رؤية ما هو عليه الله. فالله روح وبالتالي غير منظور. لكنّ الله جعل نفسه، في شخص المسيح، منظورًا لعيون بني البشر. وبهذا المعنى، يشكّل الربّ يسوع **صورة الله غير المنظور**. وكل من رآه، فقد رأى الآب (راجع يوحنا ١٤: ٩). لكنّ الكلمة «صورة» توحي أيضًا بفكرة "الممثّل أو النائب". فالله كان، في الأصل، قد جعل آدم على الأرض ليمثله - تعالى - ويرعى شؤونه لكنّ آدم أخفق في تتميم هذه المهمة، لذا أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم كالممثّل له ليرعى شؤونه، وليعلن قلبه المحب للإنسان. إنّه بهذا المعنى، صورة الله. وهذه الكلمة عينها استُخدمت أيضًا في ٣: ١٠، حيث قيل في المؤمنين إنّهم صورة المسيح.

والمسيح هو أيضًا **بكر كلّ خليقة**، أو "كلّ كائن مخلوق". وما معنى هذا؟ لقد ادّعى بعض المعلّمين الكذبة أنّ الربّ يسوع هو نفسه كائن مخلوق، وإنّه كان أول شخص صنعه الله. كما أنّ بعضهم كانوا على استعداد أن يقبلوا أنّه كان أعظم مخلوق خرج من يد الله. لكن هذا كله ينافي، بشكل مباشر، تعليم كلمة الله.

للكلمة "البكر" في الكتاب المقدس، ثلاثة معانٍ مختلفة على الأقل. ففي لوقا ٢: ٧، وردت بمعناها

الحرفي، حيث أنّ مريم ولدت ابنها البكر، أي الطفل يسوع. ومن جهة أخرى، استُخدمت الكلمة «البكر" بمعناها المجازي في خروج ٤: ٢٢ «إسرائيل ابني البكر». فهذا العدد لا يتكلّم عن ولادة حقيقيّة، لكنّ الربّ يستخدم هذه الكلمة لوصف ما كان لأمة إسرائيل قديمًا من مكانة مميّزة في مقاصده وفي خططه. وأخيرًا، وردت الكلمة «البكر» في المزمور ٨٩: ٢٧ للإشارة إلى مكانة متفوقة، وسامية، وفريدة في نوعها. فهناك يذكر الله أنّه سيجعل داود بكره، أعلى من ملوك الأرض. وداود كان، في الواقع، آخر من وُلد ليَسّي بحسب الجسد. لكن الله عزم على إعطائه مكانة فريدة في نوعها من السموّ والرفعة والسيادة.

أليست هذه بالتمام الفكرة المتضمّنة في كولوسي ١: ١٥- **بكر كل خليقة**؟ فالرب يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد. إنّ المؤمنين جميعهم هم، بمعنى من المعاني، أبناء الله. لكن الربّ يسوع هو ابن الله بشكل لا يصحّ على أيّ شخص آخر. فهو كان موجودًا قبل الخليقة كلها، كما أنّه يتفوّق عليها في مقامه، وله مركز الصدارة والسلطة. إذًا، العبارة «**بكر كل خليقة**»، لا ارتباط لها هنا بالولادة، بل تعني ببساطة أنّه ابن الله على أساس علاقة أزلية. إنّه لقب يختص بسموّ في المقام، وغير محصور بالزمان.

١٦: ١ يعتمد المعلمون الكذبة على العدد الخامس عشر ليُعلّموا أنّ الربّ يسوع كان كائنًا مخلوقًا. والضلال من الممكن دحضه عادة بالاستناد إلى النص نفسه الذي يستخدمه أصحاب البدع. وهذه هي الحال هنا. فالعدد السادس عشر يصرّح، بشكل جازم وحاسم، بأنّ الرب يسوع ليس مخلوقًا، بل هو الخالق نفسه. وفي هذا العدد نتعلّم أنّ **الكلّ – كلّ شيء في العالم – قد خُلق لا فيه فحسب، بل به أيضًا، وله**. ثمة فكرة مختلفة وراء كل واحد من حروف الجر هذه. أوّلاً، نقرأ أنّه **فيه خُلق الكل**. والفكرة هنا هي أنّ القدرة على الخلق كانت كامنة في كيانه. فهو كان المهندس. ثم نتعلّم، في ما بعد، من هذا العدد، أنّ **الكلّ به... قد خُلق**. وهذا يُظهره بصفته العامل الفعّال في الخلق. لقد كان بين أقانيم اللاّهوت هو الأقنوم الذي بواسطته تمّ عمل الخلق. كذلك فإن الكلّ **خُلق له**. فهو **الكائن** الذي لأجله خُلقت كل الأشياء، أو هو غاية الخليقة.

يبلغ بولس أبعادًا شاسعة وواسعة بتشديده على أنّ **الكلّ خُلق** في المسيح، سواء كانت الأشياء التي **في السماء**، أم تلك التي **على الأرض**، وهذا لا يترك أيّة ثغرة لأي كان حتى يوحي أنّ المسيح الذي خلق بعض الأشياء، خُلق هو أيضًا في الأصل.

ثم يضيف الرسول أنّ خليقة الربّ تضمّنت الأشياء التي **تُرى، كما الأشياء التي لا تُرى**. إن **ما يُرى لا يحتاج إلى تفسير**، لكن الرسول كان يدرك، ولا شكّ، أنّه في كلامه عمّا **لا يُرى** سيثير فضولينا. لذا، عاد فأعطانا، بشيء من التفصيل، ما يعني بقوله **ما لا يُرى**. فهذه تشمل **العروش، والسيادات، والرياسات، والسلاطين**. وفي اعتقادنا أنّ هذه الألفاظ تشير إلى كائنات ملائكية، مع أنّه ليس باستطاعتنا التمييز بين مختلف الرتب لهذه الكائنات العاقلة.

كان الغنوسيون يعلّمون أنّ هناك رتبًا وصفوفًا متنوّعة من الكائنات الروحية بين الله والمادة، وأنّ المسيح كان ينتمي إلى إحدى هذه الرتب. وفي أيامنا يدّعي

الأرواحيون *Spiritists* أنَّ يسوع المسيح هو روح متقدِّم من الدائرة السادسة. وشهود يهوه، من جهتهم، يعلّمون أنَّ ربنا كان ملاكًا مخلوقًا، بل رئيس الملائكة ميخائيل نفسه، وذلك قبل مجيئه إلى العالم. وهنا، يدحض بولس بعنف هذه الأفكار السخيفة، إذ يصرّح، بأوضح التعابير، أنَّ الربّ يسوع المسيح هو خالق الملائكة، بل في الواقع خالق كل الكائنات، **ما يُرى وما لا يُرى**.

١:١٧ الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكلّ. يقول بولس هنا: «**الذي هو قبل كل شيء**»، ولم يقل: "**الذي كان قبل كلّ شيء**". فصيغة الحاضر غالبًا ما تُستخدم في الكتاب المقدس لوصف سرمديّة اللاهوت. كأن يقول الربُ يسوع مثلاً: «قبل أن يكون إبراهيم أنا **كائن**» (يو٨:٥٨).

الربّ يسوع موجود قبل أن توجد أيّة خليقة. إلى ذلك، **فيه يقوم الكل أيضًا**. وهذا يعني أنَّه هو حامل الكون، ومصدر حركته الدائمة. وهو الذي يضبط النجوم والشمس والقمر. وحتى إبان حياته هنا على الأرض، كان هو المتسلط على النواميس التي بمقتضاها يعمل الكون بانتظام.

١:١٨ إنَّ سلطان الربّ يسوع لا يشمل العالم الطبيعي فحسب، بل يمتدّ ليشمل النطاق الروحي أيضًا وهو رأس الجسد، الكنيسة. فكلّ المؤمنين بالربّ يسوع يشكّلون، خلال التدبير الحالي، ما يُعرف **بجسد** المسيح، أو **الكنيسة**. وكما أنَّ الجسد البشري هو الأداة التي بواسطتها يعبِّر المرء عن نفسه، هكذا أيضًا جسد المسيح هو الأداة التي اختارها للتعبير عن نفسه للعالم. وهو **رأس هذا الجسد**. إنَّ الرأس يشير إلى القيادة، والتوجيه، والسيطرة. إنَّه يحتلّ مركز الصدارة في الكنيسة، إذ إنَّه هو **المتقدِّم في كلّ شيء**.

إنَّه البداءة. والإشارة هنا، برأينا، هي إلى **بداءة** الخليقة الجديدة (راجع رؤيا ٣:١٤)، ومصدر الحياة الروحيّة. وهذا ما يتضح لنا أيضًا من العبارة **البكر من الأموات**. وهنا يلزمنا أن نشدّد من جديد على أنَّ هذا لا يعني أنَّ الربّ يسوع كان أوّل من قام من بين الأموات. إذ إنَّ كلاً من العهدين القديم والجديد شهد حوادث قيامة أموات. لكنَّ الربّ يسوع كان أوّل من قام من الأموات لكي لا يموت أيضًا. كذلك كان أوّل من قام بجسد ممجَّد، كما أنّه قام بوصفه رأس الخليقة الجديدة. جاءت قيامته فريدة في نوعها، وهي الضمانة لقيامة الذين يثقون به جميعهم. إنَّها تعلنه متفوّقًا في ميدان الخليقة الروحيّة.

أجاد الفرد ماس *Alfred Mace*) عندما قال:

> المسيح لا يمكن أن يأتي في المرتبة الثانية في أي مكان. إنّه «بكر كل خليقة»، إذ إنَّه خلق كلّ شيء (كولوسي ١:١٥، ١٦). إنّه أيضًا بكر من الأموات في ما يختص بعائلة مفديّة وسماوية. إذًا، الخلق والفداء يسلّمانه امتياز التفوّق وشرفه بسبب ما هو عليه وما قام به؛ «لكي يكون هو متقدِّمًا في كلّ شيء». إنَّه الأول في كلّ مكان.

إذًا للربّ يسوع تفوّق مزدوج: أوّلاً في الخليقة، ومن ثمَّ في الكنيسة. فالله رتّب، في مشورته الأزليّة، أن يكون المسيح **هو المتقدِّم في كلّ شيء**. وأي جواب يشكّل هذا لأولئك الذين كانوا في أيام بولس (وما يزالون في أيامنا) يسعون إلى تجريد المسيح من لاهوته، لجعله مجرّد كائن مخلوق، مهما كان شأنه رفيعًا.

وإذ نقرأ العبارة «**لكي يكون هو متقدِّمًا في كلّ شيء**»، يجدر بنا أن نسائل أنفسنا: "هل هو متقدِّم في كل شيء في حياتي؟".

١: ١٩ ترجم داربي *Darby* العدد التاسع عشر على الشكل التالي: «لأنّه فيه سرّ أن يحلّ كل ملء اللاهوت». والمعنى هنا هو أنّ ملء اللاهوت قد حلّ دائمًا في المسيح.

كان الهراطقة الغنوسيون يعلّمون أنّ المسيح كان أشبه ببيت يقع في منتصف المسافة بيننا وبين الله، وحلقة ضرورية ضمن السلسلة. لكنّ، في نظرهم، كانت هناك حلقات أفضل منه بعد. لذا كانوا يحثّون أتباعهم بالقول: "انتقلوا عن المسيح لكي تبلغوا الملء". فردّ عليهم بولس بالقول: "كلاّ! فالمسيح هو نفسه الملء الكامل".

إنّ كلّ الملء يحلّ في المسيح. والفعل «يحلّ» يفيد هنا معنى الاستمراريّة، لا مجرّد الزيارة الوقتيّة والعابرة.

١: ٢٠ يرتبط العدد التاسع عشر بالعدد العشرين على النحو التالي: **لأنّه سُرَّ الآب أن يصالح به (بالمسيح) الكلّ لنفسه عاملاً الصُلح بدم صليبه**. وبكلمة أخرى، لم تكن مسرّة اللاهوت أن يحل كل الملء في المسيح فحسب (ع١٩)، بل أيضًا أن **يصالح** المسيح **كلّ شيء لنفسه**.

يذكر هذا الفصل شكلين من المصالحة: ١- مصالحة الأشياء (ع٢٠)، ٢- مصالحة الأشخاص (ع٢١). إنّ المصالحة الأولى سوف تتم في المستقبل، في حين أنّ الثانية أصبحت في حكم الماضي بالنسبة إلى جميع الذين آمنوا بالمسيح.

المصالحة

إنَّفعل المصالحة يفيدمعنىالإعادةإلىعلاقة صحيحة ، أو إحلا لا لسلا محيثكا نتا لعد او ة سا ئد ة منقبل . لا يتكلَّما لكتا با لمقد سا لبتَّة عنحا جة اللهإ لى أ نيتصا لحمعا لإ نسا ن ، بل د ائمًا عنمصا لحة ا لإ نسا نمعا لله . فا لإ نسا ن هو فيحا جة إ لى مصا لحة ، إ ذ إ نًّا هتما م الجسدهوعداوةلله(رو ٨: ٧).

معدخو لا لخطيَّةإلى العا لم ،أصبحا لإنسان متغرِّ بًا عنا لله . و هكذ اتبنَّى مو قفًا عد ائيًّا من الله.لذاباتيحتاجإلى المصا لحة.

لكنا لخطية أثَّر تفيا لخليقة بأ سـر ها ، لا في العائلةالبشريَّةوحدها.

١- بعضا لملا ئكة أ خطأ و ا فيو قتما في ا لما ضي . (لكنَّ ، لا ذ كر ، فيكلمة ا لله ، لأيَّة مصا لحة لهؤ لا ء ا لملائكة . إنَّهممحفوظون «إلى دينو نة اليو ما لعظيمبقيو د أبديَّة تحت الظلام»-يهوذا ٦). وفى أيوب ٤: ١٨،يصرّح أليفاز بأنَّاللهينسبإلى الملائكة حماقة.

٢- لقد تأ ثَّر تا لحيو ا نا تمنجرّ ا ء د خو ل ا لخطية «لأنَّا نتظار ا لخليقة يتو قَّعا ستعلان أبنا ء الله . إذ ا أُخضعتا لخليقة للبطل . . . فإنَّنا نعلمأ نَّكلّا لخليقة تئنّو تتمخَّضمعًا إ لى الآن» (رو ٨: ١٩ - ٢٢). وكونا لحيو انات تمر ضو تتأ لَّمو تموت ، هو الد ليلعلى أنَّها ليستبمنأى عنلعنةالخطيَّة.

٣-بعدخطيَّةآدم ،لعناللهالأرض (تك ٣: ١٧). فالأعشابالضَّارةو الشوكو الحسك ،تشكِّل خيربرهانعلىهذا.

٤-وفى سفر أيوب ، يخبرنابلدد أنَّهحتَّى الكو اكب غير نقيَّة فينظر الله (أي ٢٥: ٥). إذًا ،يبدو أنَّ الخطيَّةأثَّرتأيضًافيعالمالنجوم.

٥-نقرأفيعبرانيين ٩ : ٢٣ أنَّ «السّماويات»
أيا لأ شياء ا لتيفيا لسماء ، كا نتتحتا جإلى
تطهير . نحنلا نعر فكلما يعنيههذا ، لكنَّهقد
يوحيأنًّا لأشياء السماويةقدتدنّستمنجرّاء
وجود الشيطا نا لذ يلهأ نيقتر بمنا للهلكي
يشتكيعلىالإخوة(أي ١:٦،٧؛رؤ ١٢ :١٠).
يرى بعضهمفيهذا النصإشارة إلى مسكن
الله ، فيما يرى آخرو نسماوا تالنجوم . إنَّ
هذا الا حتما لا لأ خير يو حيأ نَّا قتر اب
ا لشيطا نمنا للهيتمّضمننطا قسما و ا ت
النجوم . و على كلحال ، ثمّة إ جماععلى أنَّ
عرشاللهلمتنجّسهالخطيَّةقطّ.

كا نأ حد أ هد ا فمو تا لمسيحأ نيجعل
مصا لحة الناسو الأشياء معاللهممكنة . و لكي
يتمّمذ لك ، كا نعليهأ نينز عسببا لعد ا و ة
و التغرُّ ب . و هذ اما فعلهعند ما عا لجمسأ لة
الخطيّةبشكلأرضيّاللهتمامًا.

إنَّنطا قهذ ها لمصا لحة ، يشير إليها لفصل
الأوّ لمنر سالة كولوسيعلى النحو التالي :
(١) إنَّا لذ ينآ منو ا با لر بّيسو عا لمسيحقد
تصا لحوا جميعهممعا للهمنذ الآن (ع ٢١).
إنَّعملا لمصا لحة الذيأ نجز ها لمسيح ، يكفي
لكلا لبشريَّة ، غير أنَّهلا يسر يمفعو لهإلاّ على
الذ ينيقبلو نهذ ا العمل . (٢) هذ ها لمصا لحة
ستشمل ، فينهاية المطاف ، كلا لأشياء ، سواء
ما على الأرض ، أ مما فيا لسماء (ع ٢٠).
و الإشارة هنا هيإلى الحيوانات ، با لإضافة
إلى الأ شياء ا لجا مدة ا لتيكا نتقد د نّستها
ا لخطيَّة . لكنهذ ا لا يشملا لشيطا نأ يضًا ،
و لا سا ئر ا لملا ئكة السا قطينو لا النا سغير
ا لمؤ منين ، إذ إنَّا لكتا با لمقد سحكمعليهم ،
بكلّوضوح،با لهلاكالأبدي.

ا لمصا لحة غير مذكور عنها أنَّها ستمتدّ
إلى « ما تحتا لأ ر ض » . ذ لكلأ نَّهثمة
فر قبينا لمصا لحة و ا لإ خضا ع . و هذ ا
الأ مر ا لأ خير ، و ر د ا لكلا معنهفيفيلبي
٢ : ١٠ : « لكيتجثو با سميسو عكلّ ركبة
ممَّنفيا لسماء و منعلى ا لأ ر ضو من
تحتا لأرض » . أ و كما صا غهذ ادا ربي
*Darby*فيتر جمته : "منا لكا ئنا تا لسماويَّة
و الأرضيَّةو الجهنميَّة". فالكائناتا لمخلوقة
جميعها ، بما فيذ لكا لملا ئكة السا قطون
أيضًا ، ستُر غمأ خيرًا على السجو د للر بّ
يسوع ، لكنهذ ا لا يعنى أ نَّها ستحصلعلى
ا لمصا لحة . نحننشدّ د على هذ ا لأنَّ الآية
فيكولوسي ١ : ٢٠ ا ستخد مها بعضهم
لتعليما لعقيدة ا لمغلو طة عنا لخلا ص
الكونيا لشامل ؛ بمعنى أنَّا لشيطا ننفسه ،
و الملائكة السا قطين ، با لإضافة إلى الناس
غير ا لمؤ منين ، ستتمفينها ية ا لمطا ف
عمليَّة مصا لحتهممعا لله . إنَّنصّنا يحصر
مدى ا لمصا لحة و نطا قها ، و ذ لكمنخلا ل
العبارة «سواءكا نما على الأرضأمما في
السماوات» . فا لأشياء التيتحتا لأرض ،
كماالأشياءالجهنميّةهيغيرمشمولةهنا.

١ : ٢١ يذكّر بولس المؤمنين في كولوسي بأنّه سبق لهم أن نالوا المصالحة. لقد كانوا قبل اهتدائهم، خطاة أمميّين، **أجنبيّين** عن الله، وأعداء له في الفكر بسبب **أعمالهم الشريرة** (أف ٤ :١٧، ١٨). كانوا بمسيس الحاجة إلى أن يتصالحوا مع الله، والرب يسوع المسيح هو الذي قام بهذه المبادرة، وذلك على أساس نعمته التي لا تُضاهى.

١: ٢٢ لقد صالحهم في جسم بشريته بالموت. وهذا لم يحصل من خلال حياته، بل من خلال موته. كما أنّ العبارة «**جسم بشريّته**»، تعني ببساطة أنّ الرب يسوع تمّم المصالحة عندما مات على الصليب في جسم بشري حقيقي (لا ككائن روحي، كما زعم الغنوسيون بشأنه). قارن هذا مع عبرانيين ٢: ١٤-١٦ حيث يُعتبر تجسّد المسيح ضروريًّا لإنجاز الفداء. لكن المفهوم الغنوسي أنكر هذا الأمر.

النتيجة المدهشة لهذه المصالحة، تعبّر عنها الكلمات التالية: **ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه.** فما أعظم هذه النعمة التي تنقذ خطاةً فجارًا من حياتهم الماضية الشريرة لكي تعطيهم هذا المقام المبارك والمجيد!

وعليه أجاد س.ر.إردمان *C.R.Erdman* عندما صرّح بالقول: "في المسيح، نجد الله القريب، والذي يهتم، ويُصغي، ويُشفق، ويُخلّص".

إنّ هذه المصالحة التي تمّمها المسيح لشعبه، سنُرى ذات يوم، متى يتم إحضارنا أمام الله الآب، بلا خطيّة أو لوم، أو شكوى علينا، ومتى نخرّ ساجدين ونعترف فرحين أنّ المسيح هو المستحق (رؤ٥).

١: ٢٣ والآن يضيف الرسول بولس واحدًا من تلك النصوص التي يستهلّها بالحرف إن*، **والتي طالما أزعجت العديدين من أولاد الله.** فحسب الظاهر، يبدو أنّ هذا العدد يعلّم أنّ خلاصنا الكامل يعتمد على ثباتنا **في الإيمان.** وإن كانت هذه هي الحال، فكيف باستطاعتنا التوفيق بين هذا العدد، ومقاطع أخرى من كلمة الله، مثل يوحنا ١٠: ٢٨، ٢٩، تصرّح بأنّه لا يمكن لأيّ من خراف المسيح أن يهلك؟

وفي سعينا للإجابة عن هذا السؤال، نودّ أن نبدأ بالقول إنّ ضمان خلاص المؤمن الأبدي هو حقيقة مباركة معروضة لنا على صفحات العهد الجديد. غير أنّ الكتاب المقدس يعلّم أيضًا، كما يظهر في هذا العدد، أنّ للإيمان الحق دائمًا صفة الاستمرارية، وأنّ من وُلد حقًّا من الله سيبقى أمينًا إلى النهاية. فالاستمراريّة هي برهان حقيقة الأمر. طبعًا، ثمة دائمًا خطر الارتداد، إلاّ أنّ المؤمن حقًّا يسقط لكي يعود ويقوم من جديد (أم٢٤: ١٦)، فلا يترك الإيمان أو يتخلّى عنه.

لقد رأى روح الله أنّه من المناسب أن يجعل في كلمة الله العديد من هذه النصوص المستهلّة بالحرف "إن"، لدعوة كل من يعترف باسم المسيح، إلى امتحان مدى حقيقة هذا الاعتراف ومدى صدقه. لا نريد أن نذكر أي شيء قد يخفف من وقع هذه النصوص. لكنّنا نقتبس ما قال أحدهم: "إنّ هذه النصوص الكتابية التي تبدأ بالحرف «إن»، تتّجه بشكل خاص إلى أولئك الذين يعترفون زورًا بأنّهم مؤمنون بالمسيح، وهي بمثابة اختبار مفيد للنفس".

يعلّق بردهام *Pridham* على هذه الأعداد بالشكل التالي:

> سيكتشف القارئ بعد دراسة عميقة للكلمة الإلهيّة، إنّه من عادة الروح القدس أن يقرن أوفى التصريحات عن النعمة والتي يتحدّث عنها في المطلق، بتحذيرات تنبئ بالخراب التام لكل من يدّعي الإيمان... إنّ التحذيرات ذات الوقع العنيف على مسامع الأناس المدّعين وغير المخلّصين، تشربها النفس التقيّة برغبة، وكأنّها بلسان لها ودواء... إنّ الهدف من كل تعليم كهذا الذي أمامنا هنا، هو تشجيع الإيمان وإصدار الحكم

* اللغة اليونانية تحوي كلمتين تترجمان "إن" ei وean بالإضافة إلى عدة تركيبات نحوية لتحدد نوع الشرط الذي يريده المتكلم. وهنا المستخدم هو ei مع صيغة epimenete ومنها نرى بولس يعتبره أمرًا مسلمًا به أنهم سيثبتوا.

مسبقًا بحق المدّعين المهملين والواثقين بأنفسهم.

كان الرسول يفكّر، ولا شكّ، في الغنوسيين عندما حثّ المؤمنين في كولوسي على **عدم الانتقال عن الرجاء** الذي يرافق **الإنجيل**. أو الذي يوحي به **الإنجيل**. كذلك عليهم أن **يثبتوا على الإيمان متأسّسين وراسخين**، هذا الإيمان الذي كانوا قد تعلموه من أبفراس.

يعود بولس ليتحدّث من جديد عن الإنجيل أنّه **المكروز به في كل الخليقة التي تحت السماء**، فالإنجيل ينتشر في كل الخليقة، لكنّه لم يصل بعد، بالمعنى الحرفي للكلمة، إلى كل مخلوق. وبولس يرى هنا في الكرازة بالإنجيل في كل أنحاء العالم، شهادة لصحّة رسالته. كما أنّه يرى، في ذلك أيضًا، البرهان على أنّ الإنجيل يصلح لسد احتياجات جميع بني البشر في كلّ مكان. لكن هذا العدد لا يعني أنّ كلّ شخص في العالم، كان قد سمع رسالة الإنجيل. إنّه لا يتحدّث عن واقع قد تمّ، بل عن عملية متواصلة. كذلك كان الإنجيل قد بلغ إلى عالم الكتاب المقدس كلّه، أي عالم البحر الأبيض المتوسط آنذاك.

بولس يذكر عن نفسه أنّه **مجرّد خادم** للإنجيل. وهذه العبارة تخلو من أيّة صفة رسميّة. وهي لا تشير إلى مقام رفيع على قدر ما تشير إلى خدمة وضيعة.

د. *الخدمة الموكولة إلى بولس* (١:٢٤-٢٩)

١:٢٤ تصف الأعداد الستة الأخيرة من الأصحاح الأوّل خدمة بولس. أوّلاً، كان يقوم بها في جوّ من الألم. لقد كان باستطاعة بولس الذي يكتب من السجن أن يصرّح بأنّه **الآن يفرح في آلامه لأجل القدّيسين**. وكخادم للربّ يسوع المسيح، كان مدعوًّا إلى مكابدة ضيقات لا تُعدّ ولا تُحصى، واضطهادات، **وشدائد**. كانت هذه بالنسبة إليه بمثابة امتياز: امتياز تكميل ما تبقّى من **شدائد المسيح**. وماذا يعني الرسول بهذا؟ أوّلاً، من غير الممكن أن تكون الإشارة هنا إلى آلام **الفداء** التي عاناها الربّ يسوع المسيح على الصليب. فهذه انتهت مرّة والى الأبد، ولا يستطيع أحد من الناس أن يشاركه فيها. لكنّ، إن جاز التعبير، فالربّ يسوع ما يزال يتألّم. فبعدما سقط شاول الطرسوسي أرضًا على طريق دمشق، سمع صوتًا من السماء قائلاً: «شاول، شاول لماذا تضطهدني؟» لكن شاول لم يكن يقصد اضطهاد الربّ، بل اضطهاد المسيحيين. غير أنّه تعلّم أنّه باضطهاده المؤمنين، كان في الواقع يضطهد مخلّصهم. فالربّ، الذي هو الرأس في السماء، يشعر بآلام جسده على الأرض.

إذًا، ينظر الرسول بولس إلى كل الآلام التي يلزم المسيحيين أن يجتازوا بها لأجل الربّ يسوع، على أنّها جزء ممّا تبقّى من آلام المسيح. وهي تشمل التألم من أجل البرّ، والتألم لأجله (حمل عاره)، ولأجل الإنجيل.

لكن **شدائد المسيح** لا تشير إلى الآلام **لأجل** المسيح فحسب، بل تشير أيضًا إلى الصنف نفسه من الآلام التي كابدها المخلّص إبّان حياته على الأرض، وإن كانت بدرجة أقلّ بكثير.

إنّ الشدائد التي كابدها الرسول **في جسمه**، كانت لأجل **جسد** المسيح، أي **الكنيسة**؛ أمّا آلام الأشخاص غير المخلّصين فهي بالمقابل، خالية من أي هدف. كما أنّها لا تمنح أصحابها أيّة كرامة. إنّها مجرّد تذوّق مبدئي لوخزات الألم التي ستُكابَد إلى الأبد في الجحيم. لكنّ آلام المسيحيّين تختلف كثيرًا عنها. فعندما يتألّمون لأجل المسيح، فإنّ المسيح يتألّم معهم بشكل حقيقي جدًّا.

١: ٢٥ التي صرت أنا خادمًا لها. سبق لبولس أن استخدم هذه العبارة في نهاية ع٢٣. وها هو الآن يكرّرها. إلاّ أنّه ثمة فرق بين هذين الاستخدامين. فالرسول كانت له خدمة مزدوجة: أوّلاً، قد كُلّف الكرازة بالإنجيل (ع٢٣)؛ وثانيًا، أُرسل ليعلّم السرّ المدهش المختص بالكنيسة (ع٢٥ وما بعده). ثمة درس حقيقي هنا لكل خادم أمين ليسوع المسيح. فنحن لا يُتوقع منّا أن نكتفي باقتياد الناس إلى المسيح بواسطة الإنجيل، لكي نتركهم في ما بعد ليشقّوا طريقهم بأنفسهم قدر المستطاع. لكن، يُنتظر منّا أن نوجّه مجهوداتنا التبشيريّة نحو تكوين كنائس محليّة كالتي يصفها العهد الجديد، حيث يتسنّى للمهتدين أن يُبنوا على إيمانهم الأقدس، بما في ذلك الحق المتعلّق بالكنيسة. فالربّ يريد أن يتمّ توجيه أطفاله في الإيمان إلى محطات للتغذية حيث يُقدَّم لهم الطعام الروحي المشبّع، وحيث يُتاح لهم أن ينموا نموًّا سويًّا.

إذًا، رأينا في الأصحاح الأوّل من كولوسي: ١- تفوّق المسيح المزدوج، ٢- مصالحة المسيح المزدوجة، ٣- وخدمة بولس المزدوجة. وهنا، في العدد الخامس والعشرين، نجد أنّ العبارة «**التي صرت أنا خادمًا لها**»، تشير إلى خدمة بولس في ما يتعلّق بالكنيسة، لا بالإنجيل. وهذا يتّضح لنا من العبارة التالية: **حسب تدبير الله المُعطى لي لأجلكم** (أو "حسب توكيل الله" كما ورد في بعض الترجمات). فالوكيل هو من يهتم بمصالح شخص آخر أو بممتلكاته. وبولس كان وكيلاً، بمعنى أنّه أؤتُمن على حق الكنيسة العظيم بشكل خاص. ومع أنّ السرّ المختص بجسد المسيح، لم يُعلَن له وحده، فهو اُختير لنقل هذا الحقّ الثمين إلى الأمم. وهو يشمل ما للكنيسة من مكانة فريدة في علاقتها بالمسيح وبالتدابير، بالإضافة إلى تكوينها، ورجائها المميّز ومصيرها، وسائر الحقائق الأخرى التي تختص بجوانب حياتها وتنظيمها كما أعلنها الله لبولس وللرسل الآخرين.

إنّه بقوله **المُعطى لي لأجلكم**، ينظر إلى الكولوسيين بصفتهم مؤمنين من الأمم. فالرسول بطرس كان قد أُرسل للكرازة لليهود، فيما بولس أؤتُمن على مهمة مشابهة تخصّ الأمم.

إنّ العبارة «**لتتميم كلمة الله**» تشكّل إحدى أصعب التعابير في هذا الفصل، فماذا يريد بولس أن يقول هنا؟ لا شكّ في أنّه لا يقصد إكمال كلمة الله بإضافة آخر سفر إليها. إذ نعلم أنّ سفر الرؤيا الذي كتبه يوحنا هو آخر سفر أُضيف إلى العهد الجديد من حيث الزمان. إذًا، بأي معنى **تمّم بولس كلمة الله** أو أكملها؟

أوّلاً، قد يعني فعل التتميم هذا، إعلان الأمر بالتمام، أو التعريف به. لذا، كان بولس قد أُخبر بكلّ مشورة الله. ثم نرى، ثانيًا، أنّه تمّم كلمة الله من الناحية التعليميّة أو العقائديّة. ذلك لأنّ الحقّ العظيم المختص بالسرّ يشكّل أوج الإعلان في العهد الجديد. إنّه يكمّل، بشكل حقيقي، دائرة المواضيع التي يشتمل عليها العهد الجديد. ومع أنّ أسفارًا عديدة أخرى كُتبت بعد كتابات بولس، فهي لا تحتوي على أسرار إيمان عظيمة لم تحوها أسفار بولس. فبالحقيقة أنّ الإعلانات التي تخصّ سرّ الكنيسة قد تمّمت كلمة الله. ولا شيء مما أُضيف في ما بعد كان يشكّل حقًّا جديدًا بالمعنى عينه.

١: ٢٦ نفهم من هذا العدد إنّه كان لتتميم بولس لكلمة الله علاقة **بالسرّ، ذلك السرّ المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنّه الآن أُظهِر لقدّيسيه**. والسرّ، بمفهوم

العهد الجديد، هو حق لم يسبق أن أُعلن من قبل، لكن بات معروفًا الآن لدى بنى البشر، بواسطة رسل العهد الجديد وأنبيائه. إنّه حق ما كان باستطاعة الإنسان البتّة أن يصل إليه بفطنته، لكنّ الله تنازل بنعمته وأعلنه.

هذا العدد يشكّل واحدًا من جملة أعداد في العهد الجديد تعلّم أنّ الحقّ المختص بالكنيسة لم يكن معروفًا في زمن العهد القديم. لقد كان **مكتومًا منذ الدهور ومنذ الأجيال** (أف٣: ٢-١٣؛ رو١٦: ٢٥-٢٧). لذا من الخطإ القول إنّ الكنيسة كانت قد بدأت مع آدم أو إبراهيم. بل إنّ الكنيسة بدأت يوم الخمسين. كما أنّ الحق المختص بالكنيسة قد أعلنه الرسل. فالكنيسة في العهد الجديد ليست هي نفسها إسرائيل في العهد القديم. إنّما هي كيانٌ لم يكن موجودًا قطّ.

كانت إسرائيل قد بدأت بدعوة الله إبراهيم إلى الخروج من أور الكلدانيين، وتركه سائر الأمم يسلكون في خطاياهم وفي وثنيتهم. وهكذا صنع تعالى من نسل إبراهيم أمّة مميّزة من سائر الأمم ومنفصلة عنها. أمّا الكنيسة، فهي تشكّل نقيض هذا، إذ إنّها تجمع بين ظهرانيها مؤمنين من كل الشعوب والأجناس، وتضمّهم إلى جسد واحد، لكي يعيشوا، من الناحيتين الأدبيّة والروحيّة، منفصلين عن سائر الشعوب. من جهة أخرى، ثمة أشياء كثيرة ترينا أنّ الكنيسة ليست استمرارًا لإسرائيل. وأحدها هو استعارة "شجرة الزيتون" التي يستعين بها بولس في رومية ١١ لإظهار أنّ أمّة إسرائيل تحتفظ بهويّتها، مع أنّ اليهودي الفرد الذي يؤمن بالمسيح، يصبح جزءًا من الكنيسة (كو٣: ١٠، ١١).

١: ٢٧ نستطيع أن نوجز الحقّ المختصّ بهذا السرّ على الشكل التالي: ١- الكنيسة هي جسد المسيح. والمؤمنون الحقيقيون جميعهم هم أعضاء الجسد، ومصيرهم مشاركة المسيح في المجد إلى الأبد. ٢- الربّ يسوع هو رأس الجسد، والذي يمدّه بالحياة، وبالغذاء، وبالإرشاد. ٣- ليس لليهود أيّة أفضلية من جهة قبولهم في الكنيسة؛ ولا يوجد بالمقابل ما يعوّق الأمم عن ذلك. فاليهودي كما الأممي، يصبحان عضوين في الجسد بالإيمان، وهكذا يشكّلان إنسانًا جديدًا (أف٢: ١٥؛ ٣: ٦). أن يتمكن الأمم من اختبار الخلاص، فأمرٌ لم يكن حقًّا مخفيًّا في العهد القديم؛ وأمّا أن يصبح الأمم المهتدون أعضاء في جسد المسيح، ويصيروا شركاءه في المجد وأن يملكوا معه، فهذا كله حقّ لم يُعرف قطّ من ذي قبل.

إنّ الجانب المخصوص من السرّ الذي يشدّد عليه بولس هنا هو استعداد الربّ يسوع للسّكن داخل قلب الإنسان الأممي. **المسيح فيكم، رجاء المجد.** لقد وُجّهت هذه العبارة إلى المؤمنين في كولوسي الذين كانوا من الأمم. وعلق ف.ب. مايير *F. B. Meyer* على هذا الأمر، متعجّبًا بالقول: "أن يسكن الربّ في قلب ولد من أولاد إبراهيم، كان يُعتبر عمل تنازل عجيبًا، لكن أن يأتي ليمكث في قلب إنسان أممي كان أمرًا لا يُصدّق". إلاّ أنّ هذا بالذات ما يتضمّنه السرّ: «إنّ الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل» (أف٣: ٦). كذلك تحدّث الرسول عن **غنى مجد هذا السر**، وليس فقط عن «هذا السر»، ولا «عن مجد هذا السر»، وذلك بقصد التشديد على مدى أهميّة هذا الحق. إنّه يضع الكلمات واحدة فوق الأخرى ليولّد انطباعًا لدى قرّائه بأنّ هذا الأمر يتعلّق بحقّ مجيد يستحق أن يسترعى انتباههم.

الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد. فالمسيح الساكن داخل المؤمن هو رجاء المجد بالنسبة إليه، إذ لسنا أهلاً لنوال السماء إلاّ بالمخلِّص نفسه. وكونه يسكن فينا يضمن لنا السماء وكأنّنا بلغناها منذ الآن.

١: ٢٨ إنّ العبارة «**الذي ننادي به**» لهي هامة جدًّا. واللّفظة **به** تشير طبعًا إلى الربّ يسوع المسيح (ع٢٧). إذًا، بولس يصرّح هنا بأنّه يكرز بشخص إلهي. فهو لم يمضِ وقته في مسائل السياسة أو الفلسفة، بل ركّز على الربّ يسوع نفسه، إدراكًا منه أنّ المسيحيّة هي المسيح. **منذرين كل إنسان بكل حكمة لكي نحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع.** تطالعنا هنا أبعاد جديدة عن خدمة الرسول المحبوب. كان يهتم بكل شخص بمفرده، محذّرًا غير المخلّصين من المصير الرهيب الذي ينتظرهم، ومعلّمًا القدّيسين الحقائق العظمى للإيمان المسيحي.

ثم نرى مقدار تشديده على عمل المتابعة. كان ينتابه شعور حقيقي بالمسؤولية تجاه أولئك الذين قادهم إلى المخلِّص. فهو لم يكن ليكتفي برؤية النفوس تخلص، ثم يعبر عنها، بل كان يريد أن **يحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع.** وبولس يصوِّر نفسه هنا ككاهن يقدّم ذبائح لله. والذبائح في هذه الحال هم رجال ونساء. في أي وضع يريدهم أن يكونوا عندما يقدّمهم للربّ؟ هل كضعفاء، أم كأطفال في المسيح؟ كلا، بل يريد لهم أن يكونوا مسيحيّين ناضجين وبالغين. إنّه يريد لهم أن يكونوا راسخين في الحق. هل لدينا هذا الشوق عينه من نحو الذين اقتدناهم إلى المسيح؟

١: ٢٩ كان الرسول، على غرار سائر الرسل الآخرين، يجاهد تجاه تحقيق الهدف، لكنّه أدرك أنّه لم يكن يفعل هذا بقوّته الذاتية بل **بحسب عمله الذي يعمل فيه بقوة.** وبكلمة أخرى، كان باستطاعته أن يخدم الربّ على قدر ما كان الربّ يعزّزه بالقوّة اللازمة. كان يعي جيّدًا حقيقة أنّ الربّ كان **يعمل فيه بقوّة** خلال انتقاله من مكان إلى مكان لغرس الكنائس، وتقديم العلوفة لقديسي الله.

يوضح فيلبس *Phillips* في ترجمته فحوى العددين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين على نحو خاص:

> نحن نكرز بشكل طبيعي بالمسيح. إنّنا نحذّر كل من نقابله، ونعلّم كل واحد قدر المستطاع، كلّ ما نعرفه عن الربّ، حتى نُحضر، إن أمكن، كل إنسان إلى حالة النضج الكامل في المسيح. وهذا ما أنا أفعله كل الوقت وباستمرار، بكلّ ما يمنحني الله من قوّة.

هـ. كفاية المسيح في وجه مخاطر الفلسفة، والناموسية، والتصوّف، والتقشّف (٢: ١-٢٣)

٢: ١ يرتبط هذا العدد ارتباطًا وثيقًا بآخر عددين من الفصل الأوّل. فهناك، كان الرسول بولس قد تحدّث عن جهاده الدءوب، من خلال التعليم والكرازة، لإحضار كل مؤمن كاملاً في المسيح؛ أمّا جهاده، هنا، فيرتدي طابعًا آخر، إنّه يجاهد بالصلاة لأجل قوم لم يقابلهم قطّ. فهو منذ يوم سمع عن المؤمنين في كولوسي، ما زال يصلّي لأجلهم، ولأجل الذين في المدينة المجاورة **لاودكيّة**، ولأجل سائر المؤمنين الذين لم يلتقهم بعد (راجع رؤيا ٣: ١٤-١٩ للإطلاع على سوء حالة الكنيسة هناك في ما بعد).

يشكّل العدد الأوّل سبب تعزية لأولئك الذين لم يُمنحوا قط امتياز المشاركة في خدمة جهاريّة. فهو يعلّم أن لا حاجة لنا إلى أن نبقى محصورين بما نستطيع القيام به في

محضر الناس. ذلك لأنّه بمقدورنا أن نخدم الربّ في مخادعنا على ركبنا. وإن كنّا نخدم أيّة خدمة علنية، فإن مدى تأثيرنا يعتمد، إلى حد كبير، على تعبّدنا الفردي أمام الله.

٢: ٢ هذا العدد يتناول مضمون صلاة بولس. إنّه يطلب في القسم الأوّل من هذه الصلاة أن **تتعزّى قلوبهم**. فالمؤمنون في كولوسي كانوا عُرضة لخطر تعاليم الغنوسيين. لذا فإن التعزية وردت هنا بمعنى الثبات أو التشدّد.

يتحدّث القسم الثاني من الصلاة عن **اقترانهم في المحبة**. ذلك لأنّ شركة المحبة بين المؤمنين، تشكّل درعًا واقية لصدّ هجمات العدو. وإذا كانت قلوبهم ملتهبة في محبة المسيح، فسوف يعلن لهم الحقائق الأعمق المختصّة بالإيمان المسيحي. هذا لأنّ مبدأً معروفًا جدًّا في الكتاب المقدس يؤكّد أنّ الرب يعلن أسراره لأولئك الذين هم قريبون منه. فيوحنا مثلاً، كان الرسول الذي اعتاد أن يتكئ على صدر يسوع، لذا فإن حصوله على الإعلان العظيم، إعلان يسوع المسيح، لم يكُن من قبيل الصدفة.

من ثمّ صلى بولس حتى يتسنّى لهم الدخول في كل **غنى يقين الفهم**. فعلى قدر ما **يفهمون** الإيمان المسيحي، ويستوعبونه، يزداد اقتناعهم بصحته؛ وكلّما ترسّخ المؤمنون في الإيمان؛ قلّ بذلك انحرافهم وراء ضلالات ذلك الزمان.

في العهد الجديد، وردت اللفظة "يقين" ثلاث مرّات: ١- **يقين الإيمان**: فنحن نعتمد على كلمة الله، التي هي شهادته لنا (عب ١٠: ٢٢). ٢- **يقين الفهم**: فنحن نعلم بشكل أكيد (كو ٢: ٢). ٣- **يقين الرجاء**: إنّنا نتقدّم ولدينا ملء الثقة بالنسبة إلى النتيجة التي تنتظرنا (عب ٦: ١١).

إنّ صلاة بولس هذه تبلغ ذروتها في العبارة: «**لمعرفة سر الله الآب والمسيح**».

فماذا يقصد بولس بقوله إنّه يتمنّى لهم معرفة سرّ الله الآب والمسيح؟ إنّه ما يزال يشير إلى الحقّ المختص بالكنيسة: المسيح رأس الجسد، والمؤمنون جميعهم أعضاء هذا الجسد. لكنّه معنيٌّ هنا بجانب محدّد من هذا السر، وهو المختص بكون المسيح هو الرأس. فهو حريص على أن يعترف القديسون بهذا الحق. كان يعلم أنّه متى أدركوا عظمة رأسهم المسيح، فلن تعود تستهويهم الغنوسية، ولا أيّة واحدة من البدع الشريرة التي كانت تهدّدهم.

بولس يريد للقدّيسين أن يستعينوا بالمسيح، فيستخدموا موارده، ويعتمدوا عليه في كل حالة طارئة. إنّه يريد لهم أن يروا أنّ المسيح الذي، كما وصفه الفرد ماس *Alfred Mace*:

> ... هو في شعبه، يملك كل سجيّة من سجايا اللاهوت، كما أنّه صاحب موارد لا محدودة، لا تُقاس ولا يُعبَّر عنها، حتّى لا حاجة لهم إلى طلب أيّ شيء خارجًا عنه. «الذين أراد الله أن يعرّفهم ما هو غنى مجد هذا السرّ في الأمم الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد» (كو ١: ٢٧). إنّ إدراك مقدار عظمة هذه الحقيقة، يشكّل الترياق الشافي للكبرياء اللاودكيّة، وللاهوت العقلاني، وللديانة التقليديّة، ولمزاعم الوسطاء الروحانيّين الذين يسكنهم الشيطان، ولكلّ شكل من أشكال التزوير ومقاومة الحق.

٢: ٣ في المسيح، **مذخّر جميع كنوز الحكمة والعلم**. لقد كان الغنوسيون يتباهون بما لديهم من إدراك وفهم يفوق بكثير، في نظرهم، كل ما تحتوي عليه صفحات الإعلان الإلهي. كانوا يعتقدون أنّ لديهم حكمة إضافيّة فوق ما لدى المسيح أو لدى المسيحية. لكنّ بولس يصرّح

هنا أنّ **جميع كنوز الحكمة والعلم** هي مذخّرة في المسيح، الرأس. لذا لا داعي للمؤمنين أن يتخطّوا ما هو مكتوب في الكتاب المقدس. إنّ ما في المسيح من **كنوز** هو مخفيٌّ عن غير المؤمن؛ وحتى المؤمن نفسه يلزمه أن يعرف المسيح بشكل عميم حتى يستطيع أن يحصل عليها.

> المسيح هو في المؤمن باعتباره الرأس، والمحور، والمورد. إنّه بفضل اتّساع مدى غناه الذي لا يُستقصى، وبفضل عظمته اللاّ محدودة والفائقة الوصف، وعلى أساس ما هو عليه في جوهره بصفته الله، بالإضافة إلى ما أنجزه في الخلق وفي الفداء، وفي ضوء أمجاده الشخصية، والأدبية والوظيفيّة؛ بفضل هذه جميعها يشتّت أجناد المدّعين، والمؤلّفين، والوسطاء الروحيّين، والنقّاد وسائر الذين يجتمعون ضده، ويتفوّق عليهم أجمعين. (*شذرة مُختارة*)

إنّ أوّل ما يظهر للعين أوّل وهلة هو أقل بكثير ممّا يحتوي هذا العدد. فكلّ **العلم** مذخّر في المسيح. إنّه الحق متجسّدًا، وهو القائل: «أنا هو الطريق، والحق، والحياة». ولا شيء من الحق يتعارض البتّة مع كلماته أو أعماله. أمّا الفرق بين **العلم والحكمة**، فغالبًا ما تمّ تفسيره على النحو التالي: **العلم** هو فهم الحق، أمّا **الحكمة** فتشير إلى القدرة على اتّباع الحق الذي جرى تعلّمه.

٢:٤ وبما أنّ في المسيح كلّ الحكمة والعلم، فعلى المسيحيّين ألاّ ينخدعوا **بالكلام الملق** الذي ينطق به أصحاب البدع. فالإنسان الذي لا يملك الحق، يحاول جاهدًا أن يجتذب وراءه أتباعًا من طريق عرض رسالته بمهارة ولباقة. وهذا بالتمام ما يفعله الهراطقة باستمرار. إنّهم يحاجّون انطلاقًا من احتمالات، كما أنّهم يبنون نظام تعليمهم على الاستنتاجات. بالمقابل، إن كان الإنسان يكرز بحقّ الله، فلا يلزمه عند ذاك أمورٌ كالفصاحة أو الحجج الماهرة. فالحق هو الحجّة الفضلى لنفسه، وهو على غرار الأسد يدافع عن نفسه بنفسه.

٢:٥ يُظهر هذا العدد مدى إطّلاع الرسول بولس على المشاكل والأخطار التي كانت تواجه المؤمنين في كولوسي. إنّه يصوّر نفسه كضابط يتفقّد فرق الجنود المحتشدة أمامه. ذلك لأنّ حديثه عن **الترتيب والمتانة**، يحتوي على هاتين اللفظتين اللتين تندرجان ضمن معجم التعابير العسكرية. فاللفظة الأولى تصف حشدًا مرتّبًا من الجنود، فيما تصوّر اللفظة الثانية ما يمثّله هؤلاء الجنود من تكتّل صلب متماسك. فبولس يبتهج لدى رؤيته (**بالروح**، لا بالجسد) أمانة المؤمنين في كولوسي لكلمة الله.

٢:٦ والآن يشجّعهم على الاستمرار في الطريقة نفسها التي كانوا قد بدأوا بها، أي الإيمان. **فكما قبلتم المسيح يسوع الربّ اسلكوا فيه**. والتشديد هنا، على ما يبدو، هو على كلمة «**الربّ**». وبكلمة أخرى، سبق لهم أن أقرّوا بأن فيه كلّ الكفاية. لقد كان كافيًا، لا للخلاص فحسب، بل أيضًا للحياة المسيحيّة بجملتها. والآن يحثّ بولس القدّيسين على الاستمرار في الاعتراف بربوبيّة المسيح عليهم. لذا يجدر بهم ألاّ يحيدوا عنه بتبنّيهم تعاليم بشر، مهما بدت لهم أنّها مقنعة. إنّ **فعل السلوك** هنا غالبًا ما يُستخدم في الكلام عن السيرة المسيحيّة. إنّه يفيد معنى الحركة والتقدّم، إذ إنّك لا تستطيع أن تسلك (تمشي)، وتبقى في مكانك. وهذه هي الحال بالنسبة إلى الحياة المسيحيّة: فنحن إمّا أن نتقدّم، وإمّا أن نتراجع ونتقهقر.

٧:٢ يستعين بولس أوّلاً بلفظة من حقل الزراعة، ثم بلفظة أخرى من ميدان الهندسة المعماريّة. فالصفة «**متأصلون**» تشير إلى ما حدث عند اهتدائنا، وكأنّ الربّ يسوع المسيح هو التربة، حيث جذورنا فيه، ومنه نستمدّ كل غذائنا. وهذا يشدّد أيضًا على أهميّة أن نمدّ جذورنا في العمق، حتى لا نتزعزع متى عصفت بنا الرياح المضادة (مت٥: ١٣، ٢٠، ٢١).

ثم ينتقل بولس إلى استعارة من البناء: **مبنيّين فيه**. فالربّ يسوع هنا هو أشبه بأساس، وحياتنا مبنيّة عليه، هو صخر الدهور (لو٦:٤٧-٤٩). لقد تأصّلنا مرّة واحدة وإلى الأبد، فيما بناؤنا هو عمليّة متواصلة ومستمرّة.

وموطّدين في الإيمان. وهذه الصفة «موطّدين» وردت بمعنى "ثابتين وراسخين". والفكرة هنا هي أنّ هذه العمليّة تبقى معنا وتستمر طوال حياتنا المسيحيّة. كان المؤمنون في كولوسي قد تعلّموا من أبفراس المبادئ الأساسيّة للمسيحيّة. وإذ يواصلون سيرهم في الطريق المسيحيّة، فستثبّت هذه الحقائق الجوهريّة باستمرار في قلوبهم وفي حياتهم. وبالمقابل، تشير الآية في ٢بطرس ١:٩ إلى أنّ كلّ إخفاق في التقدّم في الحياة الروحية، إنّما يُسفر عن شكوك، وعن فقدان بهجة الإنجيل وبركته.

ثم يختتم بولس هذا الوصف بالعبارة «**متأصلين فيه بالشكر**». إنّه لا يريد للمؤمنين أن يكونوا عقائديين باردين، بل يتمنّى أن تعمل حقائق الإنجيل المدهشة هذه على أسر قلوبهم، حتى تفيض هذه القلوب بالتسبيح والشكر للربّ. فالشكر على بركات المسيحيّة يشكّل ترياقًا عجيبًا لسموم العقائد المضلّة.

ترجم آرثر واي *Arthur Way* العدد السابع كما يلي: "كونوا كأشجار متأصّلة، وكأبنية ترتفع بثبات، شاعرين بحضور الربّ معكم، بل غير متزعزعين في إيمانكم، وفائضين بالشكر لأنّ هذه هي غاية تعليمكم".

٨:٢ والآن يستعدّ بولس لتناول، بشكل مباشر ومحدّد، تلك الضلالات التي كانت تهدّد المؤمنين في وادي الليكوس *Lycus Valley* حيث كانت تقع كولوسي. **انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل**. فالتعاليم المضلّة تسعى لتجريد الناس ممّا له قيمة، من دون أن تعرض أي شيء ثمين مكانه. واللّفظة «**الفلسفة**» تعنى حرفيًّا "محبة الحكمة". إنّها ليست شرًّا بحدّ ذاتها، لكنّها تتحوّل إلى شرّ متى التمس الناس الحكمة بمعزل عن الربّ يسوع المسيح. وهذه الكلمة استُخدمت هنا في معرض وصف محاولة الإنسان، بالاعتماد على فهمه وعلى أبحاثه، اكتشاف تلك الأمور التي لا تُعرف إلاّ عن طريق الإعلان الإلهي (١كو٢:١٤). وهذا شرٌّ لأنّه يرفّع المنطق البشري فوق الله، ويعبد المخلوق أكثر من الخالق. وهو يشكّل إحدى ميزات العصريّين المتحررين في أيامنا، في تباهيهم بعقلانيتهم ومنطقيّتهم. أمّا **الغرور الباطل**، فيشير إلى التعاليم الكاذبة والخالية من أيّة قيمة لقوم يدّعون تقديم حقائق سريّة لنخبة من الناس. إنّها باطلة ولا نفع منها، لكنّها تجذب وراءها أتباعًا بسبب إشباعها فضوليّة الإنسان. كما أنّها تستهوى غرورهم، إذ تجعل منهم أعضاء في "النخبة القليلة".

إنّ ما يهاجمه بولس هنا من **فلسفة وغرور باطل**، هو **حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح**. إنّ **تقليد الناس** يعني هنا التعاليم الدينية التي اخترعها الناس من دون أن يكون لها أساس حقيقي في كلمة الله. (فالتقليد

هو تكريس عادة معيّنة بدأت على سبيل الاستنساب، أو كانت موافقة لظرف محدّد). كما أنّ **أركان العالم** تشير هنا إلى الطقوس والاحتفالات والفرائض اليهوديّة، والتي كان الناس يرجون كسب رضى الله بها.

> إنّ شريعة موسى تمّمت القصد منها كظل للأمور الآتية. كانت بمثابة "مدرسة ابتدائيّة" لإعداد القلب لمجيء المسيح. والعودة إليها الآن يعني الوقوع فريسة المعلمين الكذبة الذين تآمروا ليستبدلوا بابن الله نظاماً مرفوضًا. (*من التأملات اليوميّة الصادرة عن اتّحاد الكتاب المقدّس*)

كان بولس يريد من المؤمنين في كولوسي امتحان كل تعليم في ضوء عقائد المسيح. إنّ ترجمة فيلبس *Phillips* لهذا العدد تساعدنا على إدراك فحواه: "حذارِ من أن يعمل أيّ كان على أفساد إيمانكم من طريق العقلانيّة أو التعابير الطنانّة الباطلة. فهذه المواد ترتكز، في أحسن أحوالها، على أفكار الناس حول طبيعة العالم، وتُهمل المسيح".

٢:٩ يدهشنا أن نرى كيف أنّ الرسول يعيد قرّاءه باستمرار إلى شخص المسيح. إنّه، في هذا العدد، يعرض واحدة من أروع الآيات في الكتاب المقدس، والتي تتكلّم، بما لا يقبل أي شكّ، عن ألوهية الربّ يسوع المسيح. **فإنّه فيه يحلّ كل ملء اللاهوت جسديًّا**. ولنلاحظ التراكم المقصود للأدلّة على حقيقة أنّ المسيح هو الله. أوّلاً، لديك ألوهيته: «فإنّه فيه يحلّ... **اللاهوت جسديًّا**». ثانيًا، لديك ما دعاه أحدهم مدى نطاق الألوهيّة: «فإنّه فيه يحلّ ... ملء اللاهوت جسديًّا». وأخيرًا لديك ما دُعي كمال الألوهيّة المطلقة: «فإنّه فيه يحلّ **كلّ** ملء اللاهوت جسديًّا». (وهذا يشكّل ردًّا مفحمًا على شتّى أشكال الغنوسية التي تُنكر لاهوت الربّ يسوع: جماعة العلم المسيحي *Christian Science*، وشهود يهوه، وجماعة التوحيد *Unity*، وجماعة المعرف الإشراقية *Theosophy*، وجماعة إخوان المسيح (بدعة تشدّد على مُلك المسيح من أورشليم) *Christadelphianism* إلخ).

يقول فينسانت *Vincent*: "يحتوي هذا العدد على توكيدين مميزيّن: ١- كون ملء اللاهوت يحلّ في المسيح منذ الأزل ...؛ ٢- كون ملء اللاهوت يحل فيه... كمن له جسد بشري". العديد من هذه البدع المذكورة آنفًا يقبل بأنّ شكلاً معيّنًا من الألوهيّة كان حالاًّ في المسيح. لكن هذه الآية تجعل كل ملء اللاهوت فيه، في بشريته. والحجة واضحة هنا: فإن كانت هناك هذه الكفاية كلّها في شخص الربّ يسوع المسيح، فلماذا القناعة بعد بتعاليم تحقّر المسيح أو تتجاهله؟

٢:١٠ ما يزال الرسول يحاول أن يطبع في أذهان قرّاءه حقيقة أن الربّ يسوع المسيح فيه الكفاية، وأنّه صار لهم فيه مقام كامل. إنّه لتعبير مدهش عن نعمة الله أن يأتي الحق المتضمّن في العدد العاشر بعد الحق المتضمّن في العدد التاسع. ففي المسيح يحلّ كل ملء اللاهوت جسديًّا، كما أنّ المؤمن هو **مملوء فيه**. لكنّ هذا لا يعني البتّة أنّ كلّ ملء اللاهوت هو حالّ في المؤمن. ذلك لأنّ الربّ يسوع المسيح هو الشخص الوحيد الذي يصحّ فيه هذا القول. لكن ما يعلّمه هذا العدد هو أنّ المؤمن، في المسيح، كل ما يحتاج إليه للحياة وللتقوى. يعرض سبرجُن *Spurgeon* تعريفًا جيّدًا لمئتنا هذا؛ فيصرّح أنّنا ١- مملوؤون من دون الاستعانة بالطقوس اليهودية. ٢- ومملوؤون من دون مساعدة الفلسفة. ٣- ومملوؤون بمعزل عن اختراعات الخرافات.

٤- ومملوؤون بمنأى عن أي استحقاق بشري.

إنّ الكائن الإلهي الذي نحن فيه مملوؤون هو رأس كل **رياسة وسلطان** كان الغنوسيون مأخوذين جدًّا بموضوع الملائكة. وسنأتي على ذكر هذا الأمر لاحقًا خلال هذا الفصل. لكنّ المسيح هو رأس كل الكائنات الملائكيّة، ومن السخافة الانشغال بالملائكة متى كان باستطاعتنا جعل خالق الملائكة محطّ محبتنا وتقديرنا، والتمتّع بالشركة معه.

٢:١١ كان **الختان** هو الطقس الذي يأتي في المرتبة الأولى في اليهوديّة. إنّه كناية عن عمليّة جراحيّة بسيطة يُجعل خلالها السكين على لحم الطفل الذكر. ومن الناحية الروحيّة، كانت هذه العمليّة رمزًا إلى الموت عن الجسد، أو خلع طبيعة الإنسان السّاقطة والشريرة والفاسدة. لكن، وا أسفاه اهتمّ الشعب اليهودي بممارسة مفهومها الحرفي، وأهملوا مغزاها الروحي. **كانوا**، في محاولتهم إرضاء الله عن طريق الممارسات الدينية والأعمال الصالحة، وكأنّهم يقولون أنّ الجسد البشري يحتوى على شيء ما يرضى الله. لكن لا شيء أبعد عن الحقيقة من هذا.

إنّ هذا العدد لا يتناول الختان الجسدي، بل بالحرى الختان الروحي الذي يصحّ على كل من وضع إيمانه وثقته بالربّ يسوع. وهذا يتضح لنا من الكلام عن **الختان غير المصنوع بيد**. فهذا العدد يعلّم ما يلي: كل مؤمن هو مختون **بختان المسيح**. **وختان المسيح** يشير إلى موته على صليب الجلجثة. والفكرة هي أنّه عندما مات الربّ يسوع، مات المؤمن أيضًا معه. لقد مات عن الخطيّة (رومية ٦: ١١)؛ ومات للناموس، وعن الذات (غل٢: ١٩، ٢٠)؛ ومات أيضًا عن العالم (غلاطية ٦: ١٤). (وهذا الختان هو «غير مصنوع بيد»، بمعنى أنْ لا مجال للأيدي البشرية أن تحرز أي استحقاق من هذا القبيل. إنّه عمل الله، ولا يستطيع الإنسان أن يكسبه بمجهوداته). من أجل هذا، قد خلع المؤمن **جسم خطايا البشريّة**. وبكلمة أخرى، متى نال أحدهم الخلاص، فإنّه يصبح بذلك مرتبطًا بالمسيح في موته، ويتخلّى عن كل رجاء بكسب الخلاص أو استحقاقه عن طريق المجهودات البشريّة. يكتب صموئيل ريداوت *Samuel Ridout* في هذا السياق: "إنّ موت ربّنا لم ينزع الثمرة فحسب، بل دان أيضًا الجذور نفسها التي حملت هذه الثمرة وطرحها جانبًا".

٢:١٢ ينتقل بولس من موضوع الختان إلى موضوع **المعموديّة**. وكما أنّ الختان يتحدّث عن الموت عن الجسد، هكذا أيضًا **المعموديّة** تتحدّث عن دفن الإنسان العتيق. **لذا نقرأ: مدفونين معه في المعموديّة التي فيها أقمتم أيضًا معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من بين الأموات**. والتعليم هنا هو أنّنا لم نمت مع المسيح فحسب، بل دُفنّا **أيضًا** معه. وهذا ما تمّ بصورة رمزية عند معموديتنا. فموتنا مع المسيح حصل لحظة اهتدائنا، لكنّنا عبّرنا عنه باعتراف علني لدى نزولنا في مياه المعموديّة. فالمعموديّة هي دفن، دفن كل ما كنّا عليه كأولاد آدم. إنّنا في المعموديّة نعترف بأنْ لا شيء فينا يمكنه أن يرضى الله، لذا نخلع الجسد من أمام عيني الله إلى الأبد. لكن الأمر لا ينتهي عند حدّ الدفن. ذلك لأنّنا لم نُصلب مع المسيح ونُدفن معه فحسب، بل قمنا أيضًا معه لنسلك في جدّة الحياة. وهذا كلّه يحصل لحظة الاهتداء. وهو يتمّ **بإيمان عمل الله الذي أقام المسيح من بين الأموات**.

٢:١٣ ينسب الرسول بولس الآن كل هذا إلى المؤمنين في كولوسي؛ فقبل تجديدهم، كانوا **أمواتًا في خطاياهم**. وهذا يعني أنّهم كانوا من جرّاء خطاياهم، أمواتًا روحيًّا أمام الله. لكن هذا لا يشير إلى أنّ أرواحهم كانت ميّتة، بل أنّها، ببساطة، لم تكن تتحرّك في اتجاه الله، كما أنّه ما كان باستطاعتهم القيام بأيّ شيء لكسب رضى الله. ولم يكونوا أمواتًا في الخطايا فحسب، بل يتحدث بولس أيضًا عن **غلف جسدهم**. إنّ الغلف، غالبًا ما يشير في العهد الجديد إلى شعوب الأمم. فالمؤمنين في كولوسي كانوا من الأمم، وليس من اليهود. لذا كانوا في حالة بُعد عن الله، وقد أطلقوا العنان لشهواتهم الجسديّة. لكن عندما سمعوا رسالة الإنجيل، وآمنوا بالرب يسوع المسيح، **أحياهم الله** مع المسيح، **وسامحهم بجميع خطاياهم**. وبكلمة أخرى، إنّ ما حصل للمؤمنين في كولوسي، كان تغييرًا جذريًّا في نمط حياتهم. لقد انتهى تاريخهم كخطاة، وقد أمسوا الآن خلائق جديدة في المسيح يسوع. وباتوا يعيشون في ناحية القيامة. لذا وجب عليهم أن يودّعوا كل ما كان يميّزهم كأناس في الجسد.

٢:١٤ في هذا العدد ينتقل بولس إلى وصف شيء آخر كان يتضمّنه عمل المسيح: **إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدًّا لنا، وقد رفّعه من الوسط مسمّرًا إيّاه بالصليب**. إنّ العبارة «**الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدًّا لنا**»، تشير إلى الناموس. فالوصايا العشرة، إن جاز التعبير، كانت ضدًّا لنا، إذ أنّها دانتنا عندما لم نتمكّن من حفظها بالتمام. لكن الرسول بولس لم يكن يفكّر في الوصايا العشرة وحدها، بل أيضًا في ناموس الفرائض كان قد أُعطي لبني إسرائيل. وكان ناموس الفرائض هذا يضمّ شتّى أنواع الوصايا المختصّة بأيّام مقدّسة أو أعياد، وبأطعمة مقدسة، وبشعائر دينيّة أخرى. كانت هذه جميعها تشكّل جزءًا من الديانة اليهوديّة المقرّرة. وكانت تشير قُدُمًا إلى مجيء الربّ يسوع، ومجرّد ظلال لشخصه ولعمله. لكنّه، بموته على الصليب، رفع هذه جميعها من الوسط، مسمّرًا إيّاها بالصليب، وألغاها كما تلغى الفاتورة على أثر تسديد الدين. وكما قال ماير *Meyer* في هذا السياق: "بموت المسيح على الصليب، فَقَدَ الناموس، الذي كان يدين الناس، سلطته القانونية، إذ أنّ المسيح كابد، بموته لأجل الإنسان، لعنة الناموس، كما أصبح هو غاية الناموس". وكلّي *Kelly*، من جهته، يوجز هذا الأمر بشكل بارع كما يلي: "الناموس لم يمت، لكنّنا نحن الذين متنا له".

إنّ التعابير التي يستخدمها بولس هنا، تشير، على الأرجح، إلى ممارسة قديمة كان بموجبها يسمّر، في مكان عام، إعلان خطيّ عن دَينٍ ملغى، وذلك لإحاطة الجميع علمًا بأنّه لم يعد للدائن أيّ حقّ على المديون.

٢:١٥ كان الربّ يسوع، يفضّل موته على الصليب وقيامته وصعوده، قد دحر **الرياسات والسلاطين** الشريرة، ففضحها علنًا وانتصر عليها. وفي نظرنا، هذه الغلبة هي عينها تلك المذكورة في الفصل الرابع من الرسالة إلى أفسس، حيث ورد أنّ الربّ يسوع سبى سبيًا. ذلك لأنّه أحرز بفصل موته، ودفنه، وقيامته، وصعوده، انتصارًا ساحقًا ومجيدًا على جميع أجناد الجحيم والشياطين. وفي اجتيازه الغلاف الجوّي رجوعًا إلى السماء، اجتاز بالمكان عينه حيث هيمنة رئيس سلطان الهواء.

قد يحمل هذا العدد تعزية من نوع خاص لأولئك الذين اهتدوا بعد أن كانوا يتعاملون مع الشياطين، والذين ربما ما يزال يلاحقهم هاجس الأرواح الشريرة.

فلا شيء يدعو إلى الخوف، إن كنّا في المسيح، إذ أنّه **جرّد الرياسات والسلاطين** "أي نزع سلاحها".

٢:١٦ ومرّة أخرى، نجد الرسول يضع في خانة الاتّباع العملي جميع ما صرّح به لتوّه وباستطاعتنا إيجاز ما سبق على النحو التالي: أنّ المؤمنين في كولوسي قد ماتوا على كل مجهود لإرضاء الله من خلال الجسد. وهم لم يموتوا فحسب، بل دُفنوا أيضًا مع المسيح، وقاموا مع المسيح إلى صنف جديد من الحياة. لذا يلزمهم التخلّص إلى الأبد من المتهوّدين والغنوسيين الذين كانوا يحاولون اجتذابهم رجوعًا وراء الأمور عينها التي كان الكولوسيين قد ماتوا عنها. **فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت**. إنّ الديانات البشريّة جميعها تجعل الناس تحت عبوديّة الفرائض، والقوانين، والأنظمة، وتحت تقويم ديني. وهذا التقويم يضمّ عادة فرائض سنوية أعيادًا أو أيامًا مقدّسة، أو احتفالات شهريّة "أهلّة"، أو أيّام عطلة أو راحة أسبوعيّة "سبوتًا". والعبارة «**فلا يحكم عليكم أحد**»، تعني أنّه لا يمكن أن يُدان المؤمن عن حقّ في حال أكل لحم الخنزير مثلاً، أو تخلّف عن حفظ المواسم الدينية أو الأيام المقدّسة. فبعض البدع، كالأرواحيّة *Spiritism* مثلاً، تصرّ على أن ينقطع أعضاءها عن أكل اللحوم. كذلك يُفترض بالكاثوليك ألاّ يأكلوا لحمًا أيّام الجمعة كما أنّ بعض الكنائس تطلب الانقطاع عن تناول أصناف معيّنة من الأطعمة خلال فترة الصوم. وآخرون، كجماعات المورمون *Mormons* مثلاً، يدّعون أنّه لا يستطيع العضو أن يكون له مقام حسن إن كان يشرب الشاي أو القهوة. كما أنّ السبتيّين من جهتهم، يصرّون على ضرورة أن يحفظ الإنسان السبت حتى يرضي الله. لكن المؤمن المسيحي ليس مُلزمًا هذه الفرائض. وللحصول على المزيد من المعلومات حول الناموس، والسبت، والناموسية، راجع الشروحات المختصة بالآيات التالية: متى ٥:١٨؛ ١٢:٨؛ غلاطية ٦:١٨.

٢:١٧ كانت الطقوس الدينيّة اليهوديّة **ظلاًّ للأشياء العتيقة**، وأمّا **الجسد** (أو الجوهر)، فللمسيح. لقد تمّ إنشاؤها في العهد القديم كصورة عمّا سيكون في المستقبل. فالسبت مثلاً، أُعطي كرمز للراحة التي ستكون من نصيب جميع الذين سيؤمنون بالربّ يسوع المسيح. أمّا الآن، وبعد مجيء الربّ يسوع، فما هو السّبب لبقاء الناس منشغلين بالظلال؟ إنّ هذا الأمر يشبه الاهتمام الفائق بصورة إنسان على الرغم من حضور صاحب هذه الصورة بنفسه.

٢:١٨ نواجه بعض الصعوبة في الإحاطة بما يعنيه هذا العدد تمامًا، إذ أنّنا نجهل كل ما علّمه الغنوسيون. ربّما كانوا هؤلاء القوم يدّعون بأنّهم متواضعون جدًّا، فلا يتجرّأون على الاقتراب من الله مباشرة. أو لعلّ الغنوسيون علّموا بضرورة الاقتراب من الله بواسطة الملائكة، حتى أنّهم كانوا في تواضعهم الظاهري هذا **يعبدون الملائكة** عوضًا عن عبادة الربّ، ثمة أمور شبيهة بهذا تحصل في أيّامنا أيضًا. فهناك قومًا يقولون إنّه لا يتبادر إلى أذهانهم البتّة أن يصلوا مباشرة إلى الله أو إلى الربّ يسوع. لذا رفعوا شعارهم التالي: "إلى يسوع بوساطة مريم". قد يبدوا هذا تواضعًا، لكنّه لا يخلو من عبادة المخلوق، لذا وجب على المسيحيّين ألاّ يسمحوا لأيّ كان بأن يُخسّرهم هذا الامتياز من خلال هذه الممارسات غير الكتابية. والكلمة صريحة بأنّه «يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح» (١تي٢:٥).

ثمّ يضيف الرسول بولس هذه العبارة الغامضة: «**متداخلاً في ما لا ينظره**». فالغنوسيون كانوا يدّعون بأن لديهم أسرارًا عميقة، وأنّه يجب على المرء أن يُلقّن ويتدرّج حتى يتسنّى له أن يتعلّم هذه الأسرار. ولعلّ هذه الأسرار كانت تشتمل على العديد ممّا يُسمى "رؤى"، وهذا الصنف من الرؤى يشكّل عنصرًا هامًّا لدى الفِرَق التالية في أيّامنا الحاضرة: المورمونيّة، والأرواحيّة، والكثلكة، والسويدنبرجيانية *Swedenborgianism* والذين كانوا في عداد "النخبة القليلة"، كانوا، بشكل طبيعي، يتباهون بمعرفتهم بهذه الأسرار. لذا أردف بولس يقول: «**منتفخًا باطلاً من قِبَل ذهنه الجسدي**». كانوا ينظرون إلى الآخرين من فوق، مولّدين بذلك انطباعًا بأنّ السعادة محصورة بأولئك الذين دخلوا إلى تلك الأسرار العميقة. ربّما احتجنا إلى التوقّف قليلاً عند هذا الحدّ، للقول إنّ المنظمات المُنغلقة السرية في أيّامنا تتميّز بالكثير من هذه الأمور. أمّا المؤمن المسيحي الذي يسير في شركة مع الربّ، فلا وقت لديه ولا ميل إلى هذه المنظمات. والنقطة الهامة التي يجدر بنا الانتباه إليها في هذا العدد هي أنّ هؤلاء القوم كانوا يقومون بممارستهم الدينية المتنوّعة بحسب إرادتهم على هواهم. لم يكن لديهم أي سند كتابي، كما أنّهم لم يكونوا خاضعين للمسيح في تصرُّفهم هذا. وهكذا **انتفخوا باطلاً من قِبَل ذهنهم** الجسدي، لأنّهم عملوا تمامًا ما كانوا يريدون أن يعملوه، وبالاستقلال عن الربّ. ومع هذا ظهر سلوكهم وكأنّه متواضع ومتديّن.

٢:١٩ وغير متمسّك بالرأس. هنا وُصف الربّ يسوع بأنّه رأس الجسد. إنّ «التمسّك بالرّأس» يعني أن نعيش مدركين وواعيين أنّ المسيح هو الرأس مستمدّين من موارده التي لا تنضب، سدًّا لجميع احتياجاتنا وعاملين كل شيء نجده. إنّه يعني النظر إلى الربّ في المجد، طلبًا للدّعم والإرشاد، والاستمرار في علاقة وثيقة به. وهذا ما توضّحه لنا أكثر العبارة التّالية: **الذي منه كل الجسد بمفاصل وربط متوازرًا ومقترنًا ينموا نموًّا من الله**. إنّ الأجزاء المختلفة من الجسم البشري تتّصل بعضها ببعض بواسطة **مفاصل وربط**. كما أنّ الجسد بدوره يتّصل بالرأس. فالجسد يتطلّع إلى الرأس طلبًا للإرشاد والتوجيه. هذه بالذات هي الفكرة التي يشدّد عليها الرسول بولس هنا. فإنّه يجدر بأعضاء جسد المسيح على الأرض أن يجدوا كل شبعهم وكل اكتفائهم في الربّ، فلا تعود تستميلهم أو تغويهم للانحراف عن الربّ تلك الحجج المقنعة على ما يبدو والتي يعرضها المعلّمون الكذب.

التمسّك بالرأس. يشدّد على ضرورة الاتّكال على الربّ لحظة فلحظة. ذلك لأنّ المعونة التي حصلتَ عليها يوم أمس، استنفدتها ولم تعد تنفعني اليوم، كما أنّه ليس باستطاعتنا طحن الحبوب بواسطة المياه التي عبرت فوق السدّ. كذلك يجدر بنا أن نضيف هنا أنّه حيث يتمسّك المؤمنون بالرأس فعلاً، ينتج من ذلك عمل تلقائيّ طبيعي يكون منسجمًا ومتناسقًا مع نشاط سائر الأعضاء في الجسد.

٢:٢٠ إنّ أركان العالم، كما ورد الحديث عنها في هذا العدد، تشير إلى الطقوس والفرائض. فطقوس العهد القديم كانت مثلاً في أركان العالم، بمعنى أنّها علّمت المبادئ الأساسيّة للديانة أو ألفباءها (غل٤: ٦-١١). ولعلّ بولس كان يفكّر أيضًا في الشعائر والفرائض التي كانت مرتبطة بالغنوسية وغيرها من سائر الديانات. وبالتحديد، كان بولس يتناول التقشّف النابع من ديانة يهوديّة سبق أن فقدت مكانتها أمام الله، أو الغنوسية أو

أيّة بدعة أخرى من تلك التي لم تحظَ قطّ بأيّة مكانة أمام الله. وبما أنّ المؤمنين في كولوسي كانوا قد ماتوا مع المسيح، جاء بولس يسألهم عن السبب الذي يجعلهم يقبلون بأن تُفرض عليهم فرائض. فهم بفعلهم هذا ينسون أنّهم قطعوا ما يربطهم بهذا العالم. ربّما يتبادر السؤال التالي إلى أذهان بعضنا: "إن كان المؤمن المسيحي قد مات عن الفرائض، فلماذا ما يزال يتمسّك ويحتفظ بالمعموديّة وعشاء الرب؟". أوضح جواب عن هذا السؤال هو أنّ العهد الجديد يعلّم هاتين الممارستين في الكنيسة المسيحيّة. إلاّ أنّهما ليستا "واسطتين للحصول على النعمة". فلا تجعلاننا أكثر أهليّة للسماء، ولا تساعداننا على كسب استحقاق أمام الله. لكنّهما بالحرى مجرّد فعلَي طاعة للربّ، فنُعلن اتّحادنا بالمسيح من خلال الممارسة الأولى، ونتذكّره في موته من خلال الثانية. إذًا، ليسا قانونين يجب حفظهما، على قدر ما هما امتيازان للتمتّع بهما.

٢٠:٢ هذا العدد نفهمه بشكل أفضل إذا أضفنا إلى بدايته اللفظة "مثل". وبكلمة أخرى، يقول بولس في العدد العشرين: «لماذا كأنكم عائشون في العالم، تُفرض عليكم فرائض، مثل: **لا تمسّ ولا تذق ولا تجسّ**؟» لقد علّم بعضهم، ويا للعجب، أنّ بولس أمر المؤمنين في كولوسي ألاّ يمسّوا أو يذوقوا أو يجسّوا. لكن هذا يشكّل بالتمام نقيض ما يعنيه هذا النص.

الجدير ذكره هنا أنّ بعض العارفين من أمثال وليّم كلي *William Kellty* يرون أنّ ترتيب العبارات في هذا العدد يجب أن يكون على الشكل التالي: «لا تجسّ؛ ولا تذق؛ ولا تمسّ». فهذا التسلسل قد يصف تطوّرًا متزايدًا في القساوة في ممارسة التقشّف.

٢٢:٢ يواصل هذا العدد شرح مضمون العمل السابق فهذا الحظر، وهذه التحريمات، هي من صنع البشر، كما يتبيّن لنا من العبارة «**حسب وصايا و تعاليم الناس**». فهل يكمن هنا جوهر الديانة الحقّ، أن ننشغل بالأطعمة و الأشربة عن المسيح الحي نفسه؟

أورد ويماوث *Weymouth* في ترجمته، الأعداد ٢٠ إلى ٢٢ على الشكل التالي:

> إن كنتم قد متّم مع المسيح، ومن ثم أُعتُقتم من مفاهيم العالم البدائيّة، فلماذا، كأنّ حياتكم ما تزال تنتمي إلى العالم، تخضعون لقوانين من نحو "لا تجسّ هذا"؛ و "لا تذق ذاك". و "لا تمسّوا هذا الشيء الآخر" - وكلّها تشير إلى أمور تُستهلك وتفنى - وذلك إطاعة لمجرّد وصايا وتعاليم بشريّة؟

٢٣:٢ إن ممارسات التديُّن البشري هذه تشكّل مظهرًا خارجيًّا للحكمة **في عبادة ذاتية وتواضع** زائف وقسوة على **الجسد**. **والعبادة الذاتية** تعني أنّ هؤلاء القوم يستوحون شكل عبادتهم من بنات أفكارهم بمقتضى حكمهم الخاص على ما هو صواب، لا بمقتضى كلمة الله. إنّهم يظهرون بمظهر التديُّن لكن هذا لا يشكّل المسيحيّة الحقّ. أمّا **التواضع** (المزيّف)، فقد سبق لنا أن شرحناه: أنّهم يدّعون درجة عالية من التواضع يصعب عليهم معها الاقتراب مباشرة من الله، فيستعينون بوسطاء من الملائكة. كما أنّ **قهر الجسد** يشير إلى ممارسة التقشّف. إنّه الاعتقاد أن بوسع الإنسان إحراز درجة أسمى من القداسة من طريق نكران الذات أو تعذيب النفس. وهذا الأمر موجود في الهندوسيّة وغيرها من الديانات الصوفيّة المنتشرة في الشرق.

أيّة قيمة لهذه الممارسات كلّها؟ ولعلّ الجزء الأخير من هذا العدد يعرض علينا أعظم تعليم عن هذا **ليس**

بقيمة ما من جهة إشباع البشرية. لهذه الممارسات كلّها، في ظاهرها، مظهرٌ حسنٌ؛ غير أنّها لا تنجح في قمع الغماس **الجسد** (في الشهوات). (حتّى التعهدات المخلّصة بضبط النفس والعيش باعتدال، تخفق في تتميم قصدها). فكلّ نظام مزوّر ومضلّ يخفق كل الإخفاق في تحسين أوضاع الناس. إنّ هذه الممارسات عاجزة عن كبح أهواء الجسد وشهواته، مع أنّها قد تولّد في الأذهان انطباعًا باستطاعة الجسد القيام بشيء ما يجعله يستحق رضى الله. أمّا الموقف المسيحي، فهو أنّنا قد متنا عن الجسد مع كل أهوائه وشهواته، لكي نعيش، من الآن فصاعدًا، لمجد الله. ونحن نُقدم على هذا، لا بدافع الخوف من العقاب، بل بالحري انطلاقًا من محبتنا للرب الذي بذل نفسه لأجلنا. وقد عبّر أ.ت.روبرتسون *A.T.Robertson* عن هذه الحقيقة بشكل بارع: "المحبّة هي التي تجعلنا حقًّا أحرارًا لنتصرّف بشكل حسن. والمحبة تجعل الاختيار سهلاً. المحبة تجعل وجه الواجب جميلاً. كما أنّ المحبة تجعلنا نستمتّع بمرافقة المسيح. فالمحبة تجعل من خدمة الصلاح حريّة".

٢ـ واجب المؤمن تجاه المسيح المتفوّق (اص٣، ٤)

أ. حياة المؤمن الجديدة: خلع الإنسان العتيق ولبس الجديد (٣: ١ـ١٧)

٣: ١ فإن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. إن اللّفظة "إنْ"، لا تعبّر هنا عن أي شك في ذهن الرسول بولس. لقد دُعيت "إنْ" المختصة بالحجة، ومعناها "بما أنّكم": "بما أنّكم قد قمتم مع المسيح...".

فالمؤمن، كما ذكرنا في الأصحاح الثاني، يُرى أنّه قد مات مع المسيح، ودُفن معه، وأُقيم معه من بين الأموات. أمّا المعنى الروحي لهذا كله، فهو أنّنا ودّعنا نمط الحياة السابقة، لكي ندخل شكلاً جديدًا من الحياة مختلفة تمامًا، أي حياة الربّ يسوع المُقام. وبما أنّنا قد **قمنا مع المسيح**، فعلينا أن **نطلب ما فوق**. نحن ما نزال على الأرض، لكنّنا نحتاج إلى أن نلتزم طرائق سماويّة ونُزاعيها.

٣: ٢ على المؤمن ألاّ ينظر إلى الأمور بالمنظار الأرضي. ينبغي له أن يرى الأشياء في ضوء مدى أهميتها بالنسبة إلى الله وإلى الأبدية. يرى فنسانت *Vincent* أنّ فعل **الطلب** في العدد الأول يشير إلى السعي العملي، بينما فعل **الاهتمام** في العدد الثاني يصف الموقف الداخلي. وهذا الفعل «**اهتموا**» ورد أيضًا في الأصل في فيلبي ٣: ١٩: «الذين **يفتكرون** في الأرضيات». لقد كتب أ.ت.روبرستون *A.T.Robertson* في هذا السياق: "إنّ حياة المؤمن المعتمد تعنى أنه يطلب السماء ويفكّر في السماء. رجلاه على الأرض، أمّا رأسه ففي السماء. إنّه يعيش كمواطن للسماء هنا على الأرض".

خلال الحرب العالمية الثانية، خاطب أحد خدام المسيح الناضجين مؤمنًا شابًا. قال المؤمن الشاب بحماسة: "علمت أن قاذفات القنابل التي لنا حلّقت مجدّدًا ليل أمس فوق مدن العدو". فأجابه خادم الرب: "لم أكن أعلم أن لكنيسة الله أيضًا قاذفات قنابل". لقد كان هذا الأخير ينظر إلى الأمور من الزاوية الإلهية، بدلاً من التمتّع بإبادة النساء والأولاد.

يشرح ف.ب.هول *F.B.Hole* موقعنا بشكل واضح:

> إن تشبّهنا بالمسيح في قيامته يأتي ليتمّم تشبّهنا به في موته. فهذا الأمر الأخير يعمل على عزلنا عن عالم الإنسان، وعن ديانة الإنسان، وعن حكمة الإنسان.

أمّا الأمر الأول فيجعلنا على صلة بعالم الله وبكل ما فيه. تكشف لنا الأعداد الأربعة الأولى من الأصحاح الثالث السعادة التي صارت من نصيبنا.

٣:٣ بولس، بقوله إن المؤمن قد مات، يشير إلى المقام، لا إلى الحالة العمليّة. فمن جرّاء تشبّهنا بالمسيح في موته، يريد الله لنا أن نعتبر أنفسنا أنّنا قد مُتنا مع المسيح. لكن قلوبنا هي دائمًا على استعداد للتشكيك في هذه الحقيقة، إذ نشعر بأنّنا ما نزال أحياء، إلى حدّ كبير، للخطيّة وللتجربة. لكن الأمر المدهش هو أنّه عندما نحسب أنفسنا، بالإيمان، أنّنا قد متنا مع المسيح، فإنّ هذه الحقيقة تصبح عملية في حياتنا. وهكذا إذا عشنا كمن سبق لهم أن ماتوا، فعندئذ ستصبح حياتنا مشابهة أكثر فأكثر لحياة الرب يسوع المسيح. وطبعًا، لن نبلغ أبدًا حدّ الكمال في هذه الحياة، لكنها عملية يجب أن تتواصل وتستمر في حياة كل مؤمن.

ونحن لم نمت فحسب، بل **حياتنا هي أيضًا مستترة مع المسيح في الله**. فالأشياء التي تشغل الإنسان العالمي وتثير اهتمامه هي موجودة على هذا الكوكب حيث نعيش؛ أمّا الأشياء التي تعني المؤمن في الدرجة الأولى، فهي مرتبطة جميعها بشخص الربّ يسوع المسيح. فلا مجال للفصل بين مصيره ومصيرنا. وبولس يرى هنا أنّه، وبما أنّ **حياتنا مستترة مع المسيح في الله**، ينبغي لنا ألاّ ننشغل بالأمور السخيفة في هذا العالم، ولا سيّما بالعالم الديني حوالينا.

لكن ثمة فكرة أخرى مرتبطة بالعبارة «**وحياتكم مستترة مع المسيح في الله**». فالعالم لا يرى حياتنا الروحيّة؛ والناس لا يفهموننا. إنّهم يستغربون كيف أنّ حياتنا تختلف عن حياتهم. فهم لا يستوعبون أفكارنا، ولا دوافعنا، ولا طرائقنا. وكما قيل عن الروح القدس أنّ العالم «لا يراه ولا يعرفه»، هكذا هي الحال بالنسبة إلى حياتنا الروحيّة: **إنّها مستترة مع المسيح في الله**. كذلك نقرأ في ١يوحنا ٣:١: «من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنّه لا يعرفه». فالانفصال الحقيقي عن العالم يكمن في كون العالم لا يفهم المؤمن، بل بالحري يسيء فهمه.

٤:٣ ينظر الرسول الآن إلى مجيء المسيح ثانية، فيبلغ بذلك الذروة في معرض وصفه لنصيب المؤمن في المسيح. **متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذٍ تُظهرون أنتم أيضًا معه في المجد**. نحن في الوقت الحاضر قد قمنا معه. ونتمتّع الآن بحياة لا يراها الناس ولا يفهمونها. لكن سيأتي اليوم الذي فيه يرجع الربّ يسوع ليأخذ قدّيسيه إليه، ثمّ يظهر معهم علنًا. حينئذ **سنُظهر معه في المجد**. وحينئذ أيضًا سيفهمنا الناس ويدركون سبب تصرفاتنا الآن.

٥:٣ في العدد الثالث، قيل لنا إننا متنا؛ وهنا، نحن مدعوون إلى **إماتة أعضائنا التي على الأرض**. ففي هذين العددين لنا إيضاح جلي للفرق بين مقام المؤمن، وحالته الراهنة. فهو قد مات من حيث مقامه؛ أمّا حالته الراهنة، فتقضي أن يحسب نفسه ميتًا عن الخطية، وذلك بإماتة أعضائه التي على الأرض. فمقامنا يشير إلى ما نحن عليه في المسيح، بينما حالتنا تدلّ على ما نحن عليه في أنفسنا. ومقامنا هو هبة الله المجانية بالإيمان بالربّ يسوع المسيح؛ أمّا حالتنا، فتمثّل مدى تجاوبنا مع نعمة الله.

ويجدر بنا هنا أيضًا أن نلاحظ الفرق بين الناموس والنعمة. فالله لا يقول: "إن كنتم تعيشون حياة خالية من الخطية، فسأمنحكم حينئذ مقام الموت مع المسيح". فهذا الكلام هو بالطبع ناموسي. ولو صحّ ذلك لاعتمد مقامنا على مجهوداتنا الشخصية، ولا داعي إلى ذكر أن لا أحد

منّا يستطيع أن يبلغ هذا المقام. لكنّ الله يقول، عوضًا عن ذلك: "أنا أهب مجانًا جميع الذين يؤمنون بالربّ يسوع مقامًا رفيعًا، إذ أرضى عليهم. والآن اذهبوا وعيشوا حياة منسجمة مع هذه الدعوة العليا". هذه هي النعمة.

والرسول، بقوله إنّه ينبغي لنا أن **نميت أعضائنا التي على الأرض**، لا يقصد بذلك أن نسيء حرفيًّا إلى أيّ من أعضاء جسدنا المادي! فالعبارة هنا هي مجازية، وتوضحها لنا الجمل التالية. كما أنّ اللفظة «**أعضاءكم**» تعني هنا سائر أشكال الشهوة والبغضة كما عدّدها الرسول.

يشير **الزنا** عادة إلى النجاسة أو العلاقات الجنسيّة غير المشروعة، ولا سيّما التي يقيمها أناس عُزّاب (مت ١٥: ١٩؛ مر ٧: ٢١). أحيانًا يتّسع نطاقها، وتُترجم في هذه الحال بألفاظ مثل الفسق أو الفجور. أما **النجاسة**، فتشير إلى عدم طهارة الفكر، أو القول، أو العمل. ويُقصد بها القذارة الأدبية طبعًا، لا النجاسة الطقسية أو الوساخة الجسدية. **والهوى** يفيد معنى الشهوة العنيفة التي أُطلق لها العنان. **والشهوة الرديّة**، تتحدث عن رغبة غلاّبة، كثيرًا ما تقترن بالعنف. أمّا **الطمع**، فيعني الجشع بشكل عام، أو الرغبة في الحصول على المزيد، لكنّه قد يشير هنا، بشكل خاص، إلى رغبة دنسة في إشباع الغريزة الجنسية، الأمر الذي هو **عبادة أوثان**.

تبدأ هذه القائمة بالأفعال ثم تنتقل إلى الدوافع. فالكتاب يصف لنا هنا مختلف أشكال الخطية الجنسية، ثم يعيدها إلى مصدرها، ألا وهو قلبُ الإنسان الطمّاع. إنّ كلمة الله صريحة في تعليمها أنْ لا شيء شرير في حدّ ذاته في الجنس. فالله صنع الإنسان ومنحه القدرة على التناسل. لكن الخطية تظهر متى أساء الإنسان التصرّف، فاستخدام هذه الأمور، التي انعم بها الله على خلائقه، لأغراض دنيئة وغير مشروعة. كانت الخطايا الجنسية تُعَدّ الانحراف الرئيسي ضمن العالم الوثني في أيام بولس، وما تزال في أيامنا تحتفظ بالمرتبة الأولى بين الرذائل. وحيث لم يخضع المؤمنون للروح القدس، غالبًا ما دخلت الخطايا الجنسية إلى حياتهم وأدّت إلى سقوطهم.

٣: ٦ يظن الناس أنّه باستطاعتهم أن يقترفوا هذه الخطايا الشنيعة ويُفلتوا من العقاب. فالسماوات تبدو صامتة، والإنسان يسترسل في جسارته. لكن الله لا يُشمخ عليه. فإن **غضب الله يأتي على أبناء المعصية** بسبب هذه الأمور. فهذه الخطايا لها عواقبها في هذه الحياة، إذ يحصد الناس في أجسادهم نتائج النجاسة الجنسية. إلى ذلك، ينتظرهم في يومٍ آتٍ حصاد مروّع حين يدينهم الله.

٣: ٧ يذكّر بولس المؤمنين في كولوسي بأنّهم كانوا، قبل رجوعهم إلى الله، قد تمادوا في ممارسة هذه الخطايا. لكن نعمة الله جاءت لتنقذهم من فسادهم هذا. كان ذلك فصلاً من حياتهم يغطّيه الآن دم المسيح. وقد حصلوا الآن على حياة جديدة تعزّزهم بالقوة اللازمة كي يحيوا لله. راجع غلاطية ٥: ٢٥ «إن كنّا نعيش بالروح فلنسلك أيضًا بحسب الروح».

٣: ٨ وبما أنّهم افتدوا بثمنٍ غالٍ جدًّا يجدر بهم الآن أن **يطرحوا عنهم** كل هذه الأشياء كأنّها رداء قذر. كذلك يضيف الرسول في هذا العدد، إلى مختلف أشكال الشهوة غير المقدسة المذكورة في العدد الخامس، ضروبًا من الغضب الشرير:

الغضب هو، بالطبع، روح عنيفة من البغضة أو العداء، إنّه روح منتقمة، وشعور مُضمَر بالحقد. ومن جهة أخرى، يتناول **السّخط** صنفًا عنيفًا من الغضب ربّما لا

يخلو من هيجان شديد. **والخبث** هو التعامل مع شخص آخر بشكل شرير بقصد الإساءة إليه وإلى سمعته. إنّه بغضة، لا مبرّر لها، تلتذّ برؤية الآخرين يتألّمون. **التجديف** يعني هنا، الذمّ، أي التفوّه بعبارات جارحة وغير معتدلة ضدّ شخص آخر؛ كذلك يعني التوبيخ بقسوة ووقاحة. أمّا **الكلام القبيح**، فيشير إلى الكلام المُخزي، الكلام البذيء، غير اللائق، أو الفاسد. إنّه كلام شائن ونجس. في قائمة الخطايا هذه، ينتقل الرسول من الدوافع إلى الأفعال. فالمرارة تبدأ في القلب البشري، ثم تظهر من خلال الطرائق المتنوعة التي أتينا على ذكرها.

٩:٣ في العدد التاسع، يقول الرسول ما معناه: "لتكن حالتكم منسجمة مع مقامكم". لقد **خلعتم الإنسان العتيق**؛ فاخلعوه عمليًّا الآن بالامتناع عن الكذب. فالكذب هو من الأمور التي تخصّ الإنسان العتيق، ولا مكان له في حياة أحد من أولاد الله. فنحن في كل يوم من أيام حياتنا نُجرَّب بتحريف الحق وتشويهه. قد يتم هذا من طريق كتم معلومات تختص بالضرائب، أو بالغشّ في الامتحان، أو حتى بالمبالغة في سرد قصّة. والكذب تتضاعف خطورته متى أسأنا إلى شخص آخر من خلال إدلائنا بشهادة زور، أو بتوليدنا في الأذهان انطباعًا مغلوطًا.

١٠:٣ نحن لم نخلع الإنسان العتيق فحسب، بل **لبسنا أيضًا الجديد الذي يتجدّد للمعرفة حسب صورة خالقه**. وكما أن الإنسان العتيق يشير إلى كلّ ما كنّا عليه بصفتنا أولادًا لآدم أصحاب طبيعة ساقطة، هكذا يشير **الإنسان الجديد**، من جهته، إلى مقامنا الجديد كأولاد الله. فهناك خليقة جديدة، أصبحنا على أساسها خلائق جديدة. وقصد الله يقضي أن يستمر هذا الإنسان الجديد بالنمو أكثر فأكثر على شبه الربّ يسوع المسيح. لذا علينا ألاّ نكتفي البتة بإنجازاتنا الحاضرة، بل نسعى باستمرار لهدف التشبّه أكثر فأكثر بالمخلّص. فهو مثالنا ودستور حياتنا. وسيأتي اليوم حين سنقف أمام كرسيّ المسيح، لكي نُحاسَب، لا على قدر ما تقدّمنا على سوانا من الناس، بل على قدر ما ارتقينا في حياتنا إلى مستوى الربّ يسوع المسيح.

> إنّ صورة الله لا تُرى في شكل أجسادنا، بل في جمال الذهن المتجدّد والقلب الجديد. فالقداسة، والمحبة، والتواضع، والوداعة، واللطف والمسامحة، هذه كلها تكوّن الخُلق السماوي. (*من التأملات اليوميّة الصادرة عن اتحاد الكتاب المقدّس*).

١١:٣ في الخليقة الجديدة التي تحدّث عنها الرسول، **ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة، بربري سكّيثي، عبد حرّ، بل المسيح الكلّ وفي الكلّ**. فالفروقات في الجنسية، وفي الديانة، وفي الثقافة، وفي المستوى الاجتماعي لا يُحسب لها حساب هنا. فمن حيث المقام أمام الله، جميع المؤمنين سواسية. وهذا الموقف عينه يجب أن يسود شركة الكنيسة المحلية.

لكن هذا لا ينفي وجود فوارق داخل الكنيسة. فبعض المؤمنين لهم موهبة مبشّر، وبعضهم لهم موهبة راعٍ، وبعضهم لهم موهبة معلّم، وبعض الرجال هم شيوخ في الكنيسة، وبعضهم شمامسة. إذًا، هذه الآية لا تستخفّ بالفوارق الخصوصية في الكنيسة.

كما أنّه لا يحق الاعتماد على هذه الآية لتعليم أنّ هذه الفروقات المذكورة قد تمّت إزالتها من العالم. فهذا غير صحيح. لأنّه ما يزال هناك **اليوناني واليهودي**، حيث يشير

اليوناني هنا إلى شعوب الأمم بشكل عام. كما أن ثمّة أيضًا الختان والغرلة. وهاتان الكلمتان يستخدمهما العهد الجديد على العموم لوصف كل من اليهود والأمم. بيدَ أنهما قد تشيران، بشكل خاص هنا، إلى طقس الختان بحد ذاته كما يمارسه الشعب اليهودي، فيما يهمله الأمم.

كذلك لا يزال هناك البربري (الشخص غير المتحضّر) والسكّيثي. وهنا لا يقصد الوحي أن يجعل مفارقة بين هذين الصنفين من الشعوب. ذلك لأنّ السكيثيين كانوا يُعتبرون، على العموم، الصنف الأكثر تطرّفًا، والأكثر وحشية بين البرابرة. أمّا المفارقة الأخيرة، فهي بين العبد والحر. والحر هو الذي لم يُستعبد قط، بل وُلد حرًّا. إنّ هذه التمييزات الدنيوية لم يعد لها أيّة أهمية في نظر المؤمن. فالمسيح هو الذي يُحسب له حساب فعلاً. فهو كلّ شيء، وفي كلّ شيء، بالنسبة إلى المسيحي المؤمن. إنّه يشكّل المركز والمحيط في دائرة حياة المؤمن.

عبّر الأسقف رايل *Bishop Ryle* عن هذه الحقيقة تعبيرًا جريئًا، قال:

> «المسيح الكلّ» هاتان الكلمتان تشكّلان فحوى المسيحية وجوهرها. وستكون نفوسنا على أفضل حال إذا تمكّنت قلوبنا فعلاً من استيعاب هذه الحقيقة... فإن كثيرين يعطون المسيح مكانًا معيّنًا في ديانتهم لكنّه ليس المكان الذي قصد له الله أن يكون فيه. فالمسيح وحده، ليس هو «الكلّ وفي الكلّ» بالنسبة إلى نفوسهم. كلاّ. بل عندهم المسيح والكنيسة، أو المسيح والأسرار، أو المسيح وخدّامه المرسومون، أو المسيح وصلواتهم الخاصة، أو المسيح وإخلاصهم الشخصي ومحبتهم، هذه الأمور التي يجعلون نفوسهم تستريح عليها.

٣:١٢ كان بولس قد ذكر في العدد العاشر أنّنا قد لبسنا الإنسان الجديد. وهو يعرض الآن بعض الأساليب العملية لوضع هذا الأمر موضع التنفيذ في حياتنا اليومية. أوّلاً، يخاطب المؤمنين في كولوسي بصفتهم مختاري الله. وهذا يشير إلى كون الله قد اختارهم في المسيح قبل تأسيس العالم. إنّ اختيار الله بالنعمة يبقى سرًّا من أسرار الإعلان الإلهي. فنحن نؤمن بأنّ الكتاب المقدس يعلّم بصراحة أنّ الله، بموجب سيادته المطلقة، قد اختار أُناسًا لينتموا إلى المسيح. إلاّ أنّنا لا نؤمن بأنّ الله قد اختار أيًّا كان للهلاك. فإنّ تعليمًا كهذا يناقض الكتاب المقدّس بشكل مباشر. وكما إنّنا نؤمن باختيار الله بالنعمة، كذلك نؤمن أيضًا بمسؤولية الإنسان. فالله لا يخلّص الناس رغمًا عن إرادتهم. فالكتاب المقدس عينه الذي يتكلم عن «المختارين بمقتضى علم الله الآب السابق» يقول أيضًا «لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص».

من ثم يدعو بولس المؤمنين في كولوسي قديسين ومحبوبين. إنّهم قديسون، أي مخصّصون لله ومفروزون له من العالم. فنحن قديسون في مقامنا، كما إنّنا نحتاج أيضًا أن نكون قديسين بشكل عملي في حياتنا. وكوننا محطّ محبّة الله يدفعنا إلى السعي لإرضائه في كل شيء.

والآن يستعرض بولس الفضائل المسيحية التي علينا أن نلبسها كرداء. فأحشاء الرأفات تتحدّث عن قلب شفوق وحنون. أمّا اللطف فيشير إلى الروح غير الأنانية التي تعمل لأجل الآخرين. إنّه موقف يتّسم بالعطف على الناس وإبداء المودّة لهم. والتواضع هو الضعة، والاستعداد لقبول احتقار الآخرين لنا، ولاعتبارهم أفضل من أنفسنا. أمّا الوداعة، فلا تفيد معنى الضعف،

بل بالحري القدرة على إنكار الذات والتصرّف بكياسة مع جميع الناس. يقول فاين *Vine* في هذا السياق:

الفكرة السائدة هي أن الإنسان يكون وديعًا متى كان ضعيفًا وعاجزًا؛ لكن الربّ كان "وديعًا" عندما كانت كل موارد الله غير المحدودة تحت تصرُّفه، فالوداعة هي من الناحية السلبية نقيض توكيد الذات، وطلب المصلحة الذاتية؛ أمّا من الناحية الايجابية، فهي حالة من الاتزان تنعم بها الروح ولا تكون فيها متشامخة ولا منحنية، إذ إنّها، وبكل بساطة، غير منشغلة بالذات على الإطلاق.

وإذا كان **التواضع** هو "عدم الكبرياء"، **فالوادعة** هي "عدم الانفعال". إن **طول الأناة** تتكلّم عن التحلّي بالصبر تجاه الاستفزاز وعن احتمال الإساءة. إنّها تجمع بين الفرح وموقف اللطف من الآخرين، بالإضافة إلى المثابرة والثبات تحت الآلام.

١٣:٣ إنّ العبارة **محتملين بعضكم بعضًا** تصف ما يجب أن نتحلّى به من صبر تجاه سقطات إخوتنا وهفواتهم. ونحن نحتاج أحيانًا كثيرة إلى نعمة إلهية لاحتمال تصرفات الآخرين، كحاجتهم هم أيضًا إلى مثل هذه النعمة لاحتمال تصرفاتنا. لكن ينبغي أن نحتمل بعضنا بعضًا **ونسامح بعضنا بعضًا، إن كان لأحد على أحد شكوى**. وفي حال عُمل بموجب هذه التوصيات، فلن تبقى هناك نزاعات بين شعب الله تستهلك وقتًا لمعالجتها. فالمسامحة يجب ممارستها مع الذين أساؤوا إلينا. ونحن غالبًا ما نسمع الشكوى: "لكنّه هو الذي أساء إليّ..." وفي هذه الحالة بالذات نحن مدعوون إلى المسامحة. فلو لم يسئ إلينا الشخص الآخر، لما كانت هناك أيّة حاجة إلى المسامحة. وفي حال كنّا نحن المسيئين، وجب علينا أن نمضي ونطلب الصفح. فالأناة تعني أنّنا لا ندع الإساءة تولّد فينا مشاعر من المرارة، فيما التسامح يعني تجاهل الإساءة، بل نسيانها. ولعلّه لا يوجد أي دافع إلى المسامحة أعظم من الدافع المذكور في هذا العدد: **كما غفر لكم المسيح، هكذا أنتم أيضًا**. فكيف غفر لنا المسيح؟ لقد تمّم ذلك من دون أي سبب. وهذا ما يليق بنا فعله أيضًا. ففي أسلوب الغفران، كما في مداه، ينبغي لنا أن نقتفي آثار ربنا المبارك.

١٤:٣ المحبة يصوّرها الرسول هنا وكأنّها الرداء الخارجي، أو الحزام الذي يربط سائر الفضائل الأخرى جميعها معًا لإضفاء **الكمال**. إنّها تمسك، بشكل متناسق، جميع نواحي الخُلق المسيحي. ذلك أنّه باستطاعة المرء أن يُظهر بعضًا من هذه الفضائل المذكورة أعلاه من دون أن يكون لديه أيّة محبة حقيقيّة في قلبه. لذا جاء بولس يشدّد هنا على ضرورة القيام بكل شيء بروح **المحبة** الصادقة لإخوتنا. علينا ألاّ نعمل أي شيء بتذمّر، بل بمحبة ومن كل القلب. كان في ظن الغنوسيين أنّ **المعرفة هي رباط الكمال**، فجاء بولس يصحح مفهومهم هذا بإصراره على أن **المحبة هي رباط الكمال**.

١٥:٣ على **سلام الله** أن يقوم بدور الحَكَم **في قلوبنا**. فعندما نرتاب في أي أمر، علينا أن نسائل أنفسنا: "هل سيؤدي هذا إلى السلام. أو سيغمر السلام قلبي في حال تصرّفت بهذا الشكل؟".

تكمن فائدة هذا العدد خصوصًا لدى طلبنا الإرشاد من الربّ. فإن كان الربّ يريد لك فعلاً السير في اتجاه معيّن، فسيمنحك على وجه التأكيد **سلامًا** بشأنه. لكن، إن كنت تفتقر إلى السلام، فعليك حينئذ أن تُحجم عن هذا التصرف وتعدل عنه. وكما قيل: "إنّ الظلمة التي تكتنف أمر الذهاب هي نور يحثّنا على البقاء في أماكننا".

لقد دعانا المسيح إلى التمتّع بسلامه أفرادًا وكذلك أيضًا في الكنيسة. فلا تتجاهل أهمية القسم الأخير من هذا العدد: **الذي إليه دُعيتم في جسد واحد**. فنحن قد نسعى للحصول على هذا السلام من طريق الانعزال عن سائر المؤمنين. لكن ليس هذا قصد الله، فهو «مُسكّن المتوحدين في بيت» (مز٦٨: ٦). إنّه يريد لنا أن نكون مجتمعين معًا في كنائس محلية. إن عيشنا مع مؤمنين آخرين قد يبلور صبرنا أحيانًا، إلاّ أنّ الله باستطاعته، بهذا الشكل، أن يطوّر فينا الفضائل المسيحية التي لا يمكن تنميتها إلاّ بهذه الطريقة. لذا يلزمنا ألاّ نتهرّب من مسؤوليتنا في الكنيسة المحلية، وألاّ نتنازل عنها متى اعترضت سبيلنا الآلام أو الإزعاجات، بل ينبغي لنا أن نسعى للعيش بتفاهم وانسجام مع إخوتنا المؤمنين طالبين أن نساعدهم في كل ما نفعله أو نقوله.

وكونوا شاكرين. إنّ هذه العبارة تتكرّر باستمرار في كتابات بولس. ثمة، ولا شكّ، سبب وجيه وراء ذلك: إنّ روح الله يقدّر الروح **الشكور** حق قدرها. وفي اعتقادنا أن هذا الأمر لا يهمّ حياة الفرد الروحية فحسب، بل سلامته الصحية أيضًا. فالأطباء اكتشفوا ما علّمه الكتاب المقدس على مرّ السنين، أنّ موقف الذهن الفَرِح **والشكور** هو مفيد للجسد، وأنّ القلق والاكتئاب والروح المتذمرة هي، بكل تأكيد، مضرة لصحة الفرد. نحن نظن عادة أنّ موقف الشكر عندنا تقرّره ظروفنا المباشرة، لكن بولس يبيّن هنا أنّ هذا الموقف هو فضيلة يجب تنميتها. فنحن مسئولون أن نكون **شاكرين**. كما أننا نملك، بين شعوب العالم، أوفر مادة لتقديم الشكر (قارن تثنية ٣٣: ٢٩). فالمشكلة لا تكمن في افتقارنا إلى مادة للشكر، بل بالحري إلى قلوبنا الأنانية فقط.

٣:١٦ ثمة اختلاف حول علامات الوَقف في العدد السادس عشر. فهذه العلامات غابت عن العهد الجديد كما ورد باللغة الأصلية. لكن معنى هذا العدد يتقرّر، إلى حدّ كبير، في ضوء علامات وقفه. ونحن نقترح ما يلي: **لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى وأنتم بكل حكمةٍ معلّمون ومنذرون بعضكم بعضًا؛ بمزامير، وتسابيح، وأغاني روحيّة، بنعمةٍ مترنمين في قلوبكم للرب**.

إذًا، ينقسم هذا العدد إلى ثلاثة أقسام: أولاً، علينا أن ندع **كلمة المسيح تسكن** فينا **بغنى**. **وكلمة المسيح** تشير هنا إلى تعاليم المسيح المدوّنه على صفحات الكتاب المقدّس. وهكذا، على قدر ما تتشبّع قلوبنا وأذهاننا من كلمته المقدسة، ونسعى لإطاعتها، تكون كلمة الله حقًّا ساكنة في قلوبنا.

والفكرة الثانية هي أنّنا نحتاج أن **نعلّم وننذر بعضنا بعضًا بكل حكمة**. وكل مسيحي مؤمن تترتب عليه هذه المسؤولية تجاه إخوته وأخواته. **فالتعليم** يتعلّق بالعقيدة، فيما **الإنذار** يُعنى بالواجب. كما أنّ حق إخوتنا علينا أن نشاركهم في معرفتنا الكتابية، ونسعى لمساعدتهم بما نسديه إليهم من نصائح عملية وبحسب التقوى. وعندما يُقدِّم **التعليم والإنذار بحكمة**، تزداد احتمالات قبولهما أكثر ممّا لو عُرضا بشكل عنيف خالٍ من الحكمة، أو من دون محبة.

أما الأمر الثالث، فهو أنّه ينبغي لنا أن **نرنّم في قلوبنا للربّ بمزامير وتسابيح وأغاني روحية**. فالمزامير تصف تلك الأقوال الموحى بها والمُتضمنة في السفر الذي له هذا الاسم، والتي كانت تُرنَّم كجزء من العبادة في العهد القديم. وبالمقابل، **فالتسابيح** يُقصد بها بشكل عام، أناشيد العبادة والحمد التي كانت

توجَّه إلى الله الآب أو إلى الرب يسوع المسيح.

ربّي، إن مجرّد التفكير فيك يملأ صدري حلاوة؛
لكن الأحلى أن أرى وجهك وأستريح في حضرتك.

منسوبة إلى برنارد من كلارفو Bernard of Clairvaux

إنّ هذه التسابيح غير موحى بها كما هي الحال بالنسبة إلى **المزامير**، أمّا **الأغاني الروحية**، فتشير إلى شعر ديني يصف الاختبار المسيحي. ولعلّ ما يلي يشكّل مثالاً على ذلك:

كم لقينا من كروب — واكتئابات الحياة
حيث لم نُلقِ عليه — كلَّ حملٍ بالصلاة

جوزيف سكريفن Joseph Scriven

ينبغي لنا بواسطة هذه الأشكال المتنوعة من الترنيم، أن **نرنّم في قلوبنا للرب بنعمة** أو بروح الشكر. وهنا، قد يكون مفيدًا القول بضرورة أن يستخدم المؤمن التمييز لجهة أنواع الأنغام الموسيقية التي ينتقيها. فالكثير مما يُدعى موسيقى "مسيحية" في أيامنا هو تافه وسطحي، كما أنّ جزءًا كبيرًا من هذه الموسيقى هو مناقض للكتاب المقدس، وجزءًا أكبر بعد يشبه موسيقى البوب والروك *Pop & Rock* العالميتين، بحيث يجلب العار على اسم المسيح طبعًا.

العدد السادس عشر شبيه بالعددين الثامن عشر والتاسع عشر من أفسس ٥ حيث نقرأ: «ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح مكلّمين بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنمين ومرتّلين في قلوبكم للرب». أمّا وجه الاختلاف الرئيسي بين هذين النصين، فهو أنّ بولس في كولوسي ١٦:٣ يقول: «**لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى**»، عوضًا عن المناشدة: «امتلئوا بالروح». وبكلمة أخرى، إنّ الامتلاء بالروح، كما الامتلاء بكلمة الله يشكلان معًا شرطين للعيش في حياة فرحة، ونافعة، ومثمرة. كما أنّنا لن نمتلئ بالروح ما لم نتشبّع أوّلاً من كلمة الله. وبالمقابل، لن تكون دراستنا لكلمة الله مؤثّرة ما لم نُخضع أعمق ما في كياننا الداخلي لسلطان الروح القدس. ألا يمكننا استخلاص أن الامتلاء بالروح يعني الامتلاء بكلمة الله؟ فالأمر لا يتعلق باختبار شعوري غامض يحدث في حياتنا على نحو حاسم، بل بالتغذّي يومًا بعد يوم من كلمة الله، واللهج فيها، وإطاعتها، والعيش بموجبها.

١٧:٣ يشكّل العدد السابع عشر مقياسًا شاملاً لنتفحّص سلوكنا كمسيحيين. فشبابنا اليوم، بنوع خاص، يواجهون صعوبة لجهة التقرير بشأن بعض الأمور هل هي سليمة أم لا. لكن هذا العدد، إذا حفظناه في قلوبنا، قد يبرهن على أنّه المفتاح لحلّ العديد من هذه المعضلات. فالأسئلة التالية من مثل: هل باستطاعتي عمل هذا الأمر **باسم الرب يسوع** المسيح؟ وهل سيؤول ذلك إلى تمجيد اسمه؟ وهل بوسعي أن أتوقّع أنّه سيحلّ ببركته عليه؟ وهل سأرغب في القيام به عندما سيجيء ثانية؟ مثل هذه الأسئلة هي المحكّ العظيم لكل ما نقوم به. ولنلاحظ أنّه من الضروري أن نجري هذا الامتحان على الكلمات التي ننطق بها، كما على الأفعال التي نقوم بها. فالطاعة لهذه الوصية تجعل الحياة، بجملتها، شريفة. إنّه لسرٌّ ثمين متى تعلّم المسيحي المؤمن أن يعمل كل شيء كما للربّ ولمجده. ثم، يذكر الرسول من جديد العبارة: «**شاكرين الله والآب به**». الشكر، الشكر، الشكر. إنّه واجب دائم على الذين خلصوا بالنعمة، وهم في طريقهم إلى الديار السماوية.

ب. *التصرّف اللائق بأفراد البيت المسيحي* (٣: ١٨-٤: ١)

يوجّه بولس الآن سلسلة من التوجيهات إلى أفراد البيت المسيحي. وهذه التوجيهات تمتدّ حتى الآية الأولى من الفصل الرابع. إنّه يسدي نصائح إلى الزوجات والأزواج، ثم إلى الأولاد والأهل، وأخيرًا إلى الخدّام والسّادة. إنّ هذا التحوّل من المواضيع التي شغلت بولس، إلى شؤون أرضية تتعلق بالحياة البيتية، قد يبدو مفاجئًا أوّل وهلة. لكن هذه الأمور هي في منتهى الأهمية.

البيت المسيحي

ا للهيعتبر ا لبيتقوَّ ة عظيمة فيا لحيا ة ا لمسيحية . و ا لقو لا لمأ ثو ر : " ا ليد ا لتيتهزُ ا لمهد تحكما لعا لم " ، فيهمنا لحقأ كثر بكثير ممّا يَظهر لنا . فا لعا ئلة ، صمّمها ا للهلأ جل ا لمحا فظة على ا لكثير ممّا لهقيمة فيا لحيا ة . و كلّما قلّا لا هتما مبا لبيت ،تد هو ر تحضا ر تنا و ا نحطّتبسر عة . كما أنَّر سا لة بو لسا لأ و لى إلى تيمو ثا و ستشدّ د ، بشكلخا ص ، على أنَّ ا للهر تّبا لحيا ة ا لبيتية لتكو نو ا سطة تنمية ا لمز ايا ا لر و حية ،حتى إنأ هليَّة أحد هملقيا دة في ا لكنيسةتتجمعنخُلقها لمز كّى فيا لبيت.

لنا فيا لأ عد اد ا لتالية بعضا لمبا دئ ا لر ئيسية لإ ر شا د نا فيمجا لتأ سيسا لبيتا لمسيحي . كما أ نَّنا نحتا ج ، فيمعر ضد ر ا ستنا لهذ ه ا لفقر ة ،أ ننعير " ا لضر و ر ا تا لحيو ية " ا لتالية اهتمامًاخاصًا:

١. يجبأ نيتو ا فر فيكلبيتمذ بحعا ئلي . و ا لمقصو د هنا هو تخصيصو قتكلّيو م فيهتجتمعا لعا ئلة لقر ا ء ة ا لكتا با لمقد س و الصلاة.

٢. يجبأ نيكو نللأ بسلطتهفيا لبيت ، فيمارسها بحكمةو محبة.

٣. على ا لز و جة و ا لأ مأ نتتحقّقأ نّمسؤ و ليتها ا لأ و لى تجا ها للهو تجا ها لعا ئلة ، تكمنفي ا لبيت . لذ ا ، ليسمنا لحكمة عمو مًا أ نتلتز م ا لز و جة و ظيفة خا ر جبيتها . لكنثمة با لطبع حالاتاستثنائية.

٤. يجبعلى ا لز و جو ا لز و جة أ نيكو نا خير قد و ة لأ و لا د هما . عليهما أ نيكو نا متّفقين و متّحدِي ا لر أ يبا لنسبة إلى كلا لمسائل ، بما فيذلكأمر تأديبا لأو لاد،عنداللزوم.

٥. تجبا لمحا فظة على و حد ة ا لعا ئلة . فا لمجا لمفتو حد ا ئمًا للا ر تبا كفيأ مو ر ا لعمل ، أ و فيا لحيا ة ا لا جتما عية ، أ و حتى فيا لخدمة ا لمسيحية أيضًا ، فيعانيا لأ و لاد ، منجرّ ا ء ذ لك ، نقصًا فيا لعا طفة ، و ا لر فقة و ا لتعليم ، و ا لتأ د يب . و كممنأ هلحملهم و لد هما لعا قعلى ا لتصر يحبهذ ا ا لقو لبقلب أ سيف : « و فيما عبد كمشتغلهنا و هنا كإ ذ ا هومفقود» (١مل ٢٠: ٤٠).

٦. با لنسبة إلى مو ضو عتأ ديبا لأ و لا د ، فقد تمّ ا قتر ا حثلا ثة مبا د ئر ئيسية : لا تعا قبا لبتّة عند ما تكو نفيحا لة غضب . لا تعا قبا لبتّة بشكلظا لمو غير عا د ل . لا تعا قبا لبتّة من دونتوضيحالسببالدافعإلى العقاب.

٧. جيّد أ نيحملا لأ و لا د ا لنير فيصبا هم (مر ا ثي ٣: ٢٧) ، إ ذ يتعلّمو نضبطا لنفسفيا لعمل ، و تحمُّلالمسئولية،وتقديرقيمةالمال.

٨. و فو قكلّشيء ينبغيللأ هلا لمؤ منين تجنّبأ نتكو نطمو حا تهملأ و لا د هممجرّ د أ ر ضية و عا لمية ، بلحرّ ى بهمأ نيضعو ا

باستمرار نصب أعينهؤلاء الأولاد خدمة الربّكأ نفعنمطللحياة . و هذا قد يعني ، بالنسبة إلى بعضهم ،خدمة تستلز مكلوقتهم ، فيحقلإرسالي ؛ أما آخر و نفسيخد مو ن الرّبمنخلا لو ظيفتهما لد نيو ية . لكن فيكلا الحالين ، يجبإ عار ة عملا لـرب الاهتماما لأول .و سواء كنّافيالبيت ،أمفي مكا نا لعمل ، أ مفيأ يمكا نآ خر ، يجب أ ننعيأ نّنا نمثّلمخلّصنا ، فتكو نكلّكلمة نتفوّ هبها و كلّعملنقو مبهلا ئقًا با لر بّ ، بل حتىبإرشادهو تحتقيادته.

٣:١٨ يوجّه الرسول مناشدته الأولى إلى النساء. إنّه يحثهنّ إن **اخضعن لرجالكنّ كما يليق في الرب**. فبموجب المخطّط الإلهي، نعلم أنّ الرجل رأس البيت، بينما جُعلت المرأة في مركز الخضوع لزوجها. عليها ألاّ تتسلّط أو تقود، بل تتّبع قيادة الرجل كلّما تسنّى لها ذلك من دون المساومة على ولائها للمسيح. فهناك بالطبع أوضاع وحالات، لا تتمكّن المرأة خلالها من إطاعة زوجها، والاستمرار، في الوقت عينه، في أمانتها للربّ. ففي هذه الحال، يجب أن يكون ولاؤها الأوّل للربّ يسوع. ومتى كان للمرأة المؤمنة زوج ضعيف الشخصيّة، فإنّ هذه الآية توجّهها إلى ضرورة مساعدته على اتّخاذ مكانه في البيت، فلا تغتصب هذا المركز نظرًا لكونها أكثر مهارة منه.

٣:١٩ رائعٌ هذا التوازن المعروض علينا في كلمة الله. فالرسول لم يتوقّف عند هذه النصيحة إلى النساء، بل يتحدّث، في هذا العدد، عن المسئولية المترتبة على الرجال. فعلى هؤلاء أن **يحبوا نساءهم ولا يكونوا قساة عليهنّ**. ولو تمّ العمل بموجب هاتين التوصيتين البسيطتين، لاختفت بذلك العديد من مشاكل الحياة الزوجية، إنّه لَمن غير المحتمل أن تعترض أيّة زوجة على الخضوع لزوج يحبها محبة حقيقية. لاحظ بعضهم أن الزوج لم يُدعَ إلى جعل زوجته تطيعه. وفي حال أنها لم تطعه، عليه أن يُعلِم الربّ بذلك. فالخضوع يجب أن يكون عملها الطوعي «كما يليق في الربّ».

٣:٢٠ من ثم يناشد الرسول الأولاد بالقول: **أطيعوا والديكم في كل شيء، لأن هذا مرضيٌّ في الرب**. في كل العصور، بقيت العائلات متماسكة على أساس العمل بمبدأين بسيطين: السلطة والطاعة. والحديث هنا هو عن المبدإ الأخير. ولنلاحظ أنّ هذه الطاعة يجب أن تكون **في كلّ شيء**. أي ألاّ يقتصر ذلك على الأمور المستحسنة، بل يتعدّاه أيضًا إلى ما لا يبدو محبّبًا على قلوبنا.

غالبًا ما يقع الأولاد المؤمنون في مأزق حرج؛ إذا كان ذووهم غير مخلّصين. فهم يريدون أن يعيشوا أوفياء للرب، إلاّ أنّه تفرض عليهم، في الوقت عينه، مطاليب ذويهم. فعلى وجه العموم إن هم أكرموا والديهم، فإنّ الله سيكرمهم. وما داموا عائشين تحت سقف البيت الأبويّ، فإنّ ثمّة واجبات مفروضة عليهم، ولكن يجب ألاّ يقوموا بأي عمل يخالف تعاليم المسيح؛ وعادةً لن يُطلب منهم عملٌ من هذا القبيل. لكن قد يُطلب منهم، أحيانًا، القيام بأعمال لا تروقهم فهذه يعملونها كما للربّ، ما دامت لا تُصنَّف خطيةً. وهكذا يستطيعون أن يكونوا شهادة حسنة لذويهم، وإذ ذاك يسعون لربحهم للربّ.

٣: ٢١ على الآباء ألاّ يغيظوا أولادهم لئلا يفشلوا. والجدير ذكره هو أنّ هذه النصيحة موجّهة إلى **الآباء**، وليس إلى الأمهات. ألا نفهم من هذا أن الأب هو معرّض أكثر من الأم لاقتراف هذا الخطأ؟ كلي *Kelly* يقترح، في هذا الصدد، أن الأمهات ميالات أكثر إلى تدليل الأولاد.

٣: ٢٢ من العدد الثاني والعشرين إلى آخر الفصل، يخاطب روح الله **العبيد**. وإنّه لأمر جدير بالانتباه أن نلاحظ مدى إسهاب العهد الجديد في الكلام عن العبيد. وهذه الظاهرة لا تخلو من عبرة. فهي تظهر أنّه مهما تدنّى مركز الإنسان الاجتماعي، فإنه يبقى بوسعه أن يرتقي، بفضل أمانته لكلمة الله، إلى أعلى المستويات في الحياة المسيحية. ولعلها تعكس أيضًا علم الله السابق بأنّ معظم المسيحيين سيشغلون مراكز الخدمة، لا مراكز السلطة. مثلاً، لا يتضمّن العهد الجديد سوى توجيهات قليلة جدًّا إلى حكام الأمم، فيما يُسدى نصائح كثيرة إلى الذين كرّسوا حياتهم لخدمة الآخرين. كان العبيد، في أيام بولس، لا يُبالى بهم، الأمر الذي جعل المؤمنين الأولين يستهجنون كل هذا الاهتمام الذي أولته إيّاهم هذه الرسائل. لكن هذا يُظهر أنّ نعمة الله يمكنها أن تصل إلى الناس مهما كان مركزهم منحطًّا وحقيرًا. يعلق ماكنتوش *C.H. Mackintosh* على هذا بالقول: "لا يمكن للعبد أن يكون محرومًا خدمة الله. فإنه بمجرّد قيامه بواجبه أمام عينَي الله، يستطيع أن يزيّن التعليم، وبالتالي يمجّد الله".

العبيد مدعوون أن يطيعوا في كلّ شيء سادتهم حسب الجسد. ها هنا تذكير لطيف بأنّ هؤلاء السّادة هم **سادة حسب الجسد** فقط. فالعبيد لهم سيّد سماوي آخر هو فوق الجميع، ويرى كل ما يُعمل للأحقر بين أولاده. لذا على العبيد ألاّ يخدموا **بخدمة العين كمن يرضي الناس بل ببساطة القلب خائفين الربّ**. (للحصول على مثال جيّد على هذا في العهد القديم، راجع تكوين ٢٤: ٣٣). فالإنسان المظلوم يُجرَّب، على نحو خاص، بأن يتهاون في عمله عندما يغيب نظر سيده عنه. لكن العبد المؤمن لا بدّ أن يتيقّن أن سيّده السماوي ينظر إليه باستمرار. لذا يعمل كما للربّ، مع أنّ ظروفه الأرضيّة قد تكون مُرّة جدًّا. إنّ العبارة «**ببساطة القلب**» تشير إلى نقاوة الدافع: إنّه يعمل فقط لإرضاء الربّ يسوع.

والجدير ذكره أنّ العهد الجديد لا يلحظ أي حظر صريح لنظام العبودية هذا. فالعهد الجديد لا يقلب المؤسسات الاجتماعية من طريق الثورة. غير أنّه حيثما وصل الإنجيل، اقتُلع نظام العبوديّة من جذوره وأُلغي. لكن الأمر لا يعني أن هذه التوجيهات تخلو من أي مغزى في أيامنا الحاضرة، إذ إن كل ما قيل هنا يصلح كمثل جيّد ينطبق على الموظفين وأرباب العمل.

٣: ٢٣ كلّ شيء يجب أن يُعمل من القلب (حرفيًّا "من النفس") **كما للربّ ليس للناس**. في كل ناحية من نواحي الخدمة المسيحية، كما في كلّ دائرة من دوائر الحياة، ثمة مهمات تكون حقيرة في نظر الناس. ولا داعي إلى القول إنّنا نتجنّب أعمالاً كهذه. لكن هذا العدد يعلّمنا الدرس الهام جدًّا عن أنّ أحقر خدمة قد تُمسي مجيدة ورفيعة عندما نعملها للربّ. وبهذا المعنى،

ينتفي أي فارق بين العمل الدنيوي والعمل الروحي أو المقدّس. فالكلّ يُصبح مقدّسًا. لن تأتي المكافآت في السماء على أساس التقدّم أو النجاحات حسب الظاهر؛ كما أنّها لن تكون على المهارات أو الفرص، بل بالحري على الأمانة. وهكذا فإن الأشخاص المغمورين قد يحصلون في ذلك اليوم على مكانة رفيعة، إن كانوا قد تمّموا مهامّهم بأمانة كما للربّ. ثمّة شعاران غالبًا ما يُجعلان فوق مغسلة (حوض) المطبخ، وهما: "ليس بإهمال بل بانتصار"، و "خدمة الله تقام هنا ثلاث مرات يوميًّا".

٣: ٢٤ الربّ هو الذي يحفظ السجلات في الوقت الحاضر. وهو ينتبه إلى كل ما يُعمل لأجله. "إنّ لطف الله سيعوِّض من لطف الناس". وأصحاب الميراث الأرضي القليل **سيأخذون جزاء الميراث** في السماء. فلنتذكّر هذا في المرّة التالية عندما تُدعى إلى القيام بأمر لا نرغب في عمله، سواء أكان ذلك في الكنيسة، أم في البيت، أم في مركز عملنا. إنّها شهادة للمسيح أن نتمّم ذلك من دون تذمّر، وأن نقوم بأفضل عمل ممكن.

٣: ٢٥ لا يحدّد بولس من يقصد في العدد الخامس والعشرين. وربما نفكّر، بشكل طبيعي، في أنّ الكلام هنا هو عن سيّد ظالم يقمع عبيده ويذلّهم. ولعلّ عبدًا مسيحيًّا قد كلّ وتعب من إطاعة مطاليبه غير العادلة. وكأن بولس يخاطبه بالقول: "لا تأبه لهذا. فالرب يعلم كل شيء بشأن هذا الأمر، وهو يتولّى أمر الإساءات أيضًا".

هذا القول، مع أنّه قد يشمل السّادة أيضًا، إلا أنه موجّه، بشكل رئيسي، إلى العبيد. فالعمل بإهمال، والغش، وإضاعة الوقت بالتبطل والتسكّع، مع كل أشكال عدم الإخلاص والأمانة، لن تمرّ من دون أن يلاحظها الله. إذ عند الله، **ليس محاباة**. إنّه سيّد الجميع، والفوارق السائدة بين الناس، لا توجد في قاموسه. ففي حال سلب العبيد سادتهم (كما فعل أُنسيمُس حسب الظاهر)، يلزمهم حينئذٍ أن يعطوا حسابًا للربّ.

٤: ١ هذا العدد يتبع منطقيًّا العدد الأخير من الفصل الثالث. على **السّادة أن يقدّموا لعبيدهم العدل والمساواة**. يجب ألا يبخسوا أجورهم المحقّة، بل أن يدفعوا لهم أجرًا جيّدًا مقابل العمل الذي قاموا به. وهذه التوصية هي موجّهة، بشكل مباشر، إلى أرباب العمل المؤمنين. فالله يكره ظلم المساكين، كما أنّه تعالى لا يقبل الرجل الذي اغتنى من جرّاء اعتماد أساليب غير عادلة مع عمّاله. وكأنّ الله يقول ما معناه: "احتفظ بما لك، فأنا لا أحبّ الأسلوب الذي به حصّلته" (راجع يعقوب ٥: ١-٤). على السّادة ألاّ يتشامخوا بل بالحري أن يخافوا، لأنّ لهم هم **أيضًا سيّدًا في السماوات**، الربّ العادل والبار في كل طرقه.

يجدر بنا قبل اختتام هذه الفقرة، أن نلاحظ كيف أن الرسول بولس يتناول باستمرار هذه المسائل المختصّة بالحياة اليومية، في ضوء ربوبيّة المسيح، وذلك على الشكل التالي:

١- النساء: كما يليق في الرب (ع١٨).

٢- الأولاد: هذا مرضيّ في الرب (ع٢٢).

٣- العبيد: خائفون الرب (ع٢٢).

٤- العبيد: كما للرب (ع٢٣).

ج. المؤمن وحياة الصلاة، وشهادته بالحياة وبالكلام (٤:٢-٦).

٤:٢ لا يكلّ بولس ولا يملّ من حثّ شعب الله على الاجتهاد في الصلاة. إنّه لأمر سنأسف عليه جميعنا، أنّنا لم نخصّص المزيد من الوقت للصلاة، ولا سيّما بعد تحقّقنا مقدار استجابة صلواتنا. إنّ موضوع الصلاة عمومًا يكتنفه الكثير من الغموض، كما أنّ أسئلة عديدة تبقى من دون استجابة. لكن أفضل موقف للمؤمن هو ألاّ يسعى لتحليل الأسرار العميقة للصلاة، ولا لتشريحها أو فهمها. كما أنّ الأسلوب الأفضل هو أن نستمر في الصلاة بإيمان بسيط، طارحين جانبًا شكوكنا العقلية.

علينا ألاّ نواظب على الصلاة فحسب، بل نحتاج أن نكون **ساهرين فيها** أيضًا. وهذا الأمر يذكّرنا للحال بالتوصية التي قدّمها الربّ يسوع لتلاميذه في بستان جثسيماني: «اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة». لم يسهروا، لذا غلبهم النعاس وناموا. فيلزمنا لا أن نسهر حتى لا ننام فحسب، بل أيضًا حتى نتجنّب شرود الفكر، والتهاون، وعدم الواقعية. كذلك علينا أن نسهر لئلا يُسلب منّا وقت الصلاة (أفسس ٦:١٨). ثم من جديد، علينا أن نكون **شكورين** في صلواتنا، فلا نكتفي بالشكر على استجابات الصلاة الماضية، بل بالإيمان نشكر الرب أيضًا على الصلوات التي لم يستجبها. وقد لخّص جي كنج *Guy King* هذا الأمر بهذا الشكل البارع: "إنّ محبة الربّ تريد لنا الأفضل؛ وحكمته تعرف ما هو الأفضل لنا؛ وقدرته تمنحنا الأفضل".

٤:٣ يذكّر بولس المؤمنين في كولوسي أن يصلوا **أيضًا لأجله**، ولأجل خدّام الرب الذين معه في روما. فما أجمل ملاحظة أنّه لم يطلب لأجل فكّ أسره. بل **ليفتح له الربّ بابًا** للكرازة بكلمة الله. كان الرسول ينتظر من الله أن يفتح له الأبواب. وأي درس هام لنا هنا! إذ إنّه من الممكن جدًّا أن نفتح نحن لأنفسنا الأبواب في ميدان الخدمة المسيحية. لكن يلزمنا تجنُّب هذا الخطر. فإذا فتح الربّ الأبواب أمامنا، نستطيع الدخول بثقة، عالمين أنّه هو الذي يقودنا؛ أمّا إذا فتحنا نحن الأبواب لأنفسنا، فلن يتسنّى لنا، في هذه الحال، أن نتيقّن أنّنا في صلب إرادة الربّ لحياتنا، كما أنّنا قد نتعرّض سريعًا لاعتماد أساليب جسديّة لتتميم ما نسمّيه عمل الرب. كان طلب بولس المحدّد أن ينفتح له **باب الكلام ليتكلّم بسرّ المسيح الذي من أجله كان موثقًا**. وفي هذا العدد يشير سرّ المسيح إلى الحق المختص بالكنيسة، ولا سيّما ذلك الجانب منه الذي يمكن تعريفه بواسطة العبارة "المسيح لأجل الأمم". هنا تكمن تلك الناحية المحدّدة من رسالة الإنجيل التي كان بولس قد أؤتمن على الكرازة بها. وبما أنّه تجرّأ على التصريح أنّه باستطاعة الأمم أن يخلصوا على غرار اليهود تمامًا، فإنّ القادة اليهود نجحوا أخيرًا في إرساله إلى روما سجينًا.

ثمة قوم يعلّمون أن سرّ الكنيسة العظيم، كان قد أُعلن لبولس عندما كان مسجونًا. لذا يشدّدون بشكل خاص على "رسائل السجن"، مع التقليل حسب الظاهر من أهمية الإنجيل وسائر أسفار العهد الجديد. لكن يتّضح لنا، من هذا العدد، أن الكرازة بالسر كانت السبب في اعتقاله هذا، ومن ثمّ يجب أن يكون هذا السر قد أُعلن له في وقتٍ سابق لإلقاء القبض عليه.

٤:٤ كان مهتمًّا بإظهار هذا السر، أي بأن يكرز به بوضوح حتى يسهل على الشعب إدراكه. وهذا يجب أن يكون رغبة كل مسيحي يسعى لتعريف الناس بالمسيح. لا فضيلة في أن يبدو المرء "عميقًا"، بل يجب أن نهدف إلى بلوغ الجماهير؛ وهذا يحتّم علينا عرض الرسالة بشكل بسيط وواضح.

٤:٥ على المؤمنين أن يسلكوا بحكمة من جهة الذين هم من خارج. يجب أن يدركوا أنّ غير المؤمنين يلاحظون سيرتهم بكل دقة. فالعالم مهتم بسلوكنا أكثر من اهتمامه بكلامنا؛ وبحسب تعبير إدجار جست *Edgar Guest* "أُفضّل أن أرى عظة على أن أسمعها". لكن هذا لا يعني أن المسيحي يتخلى عن الاعتراف بشفتيه بالمسيح، بل الفكرة هنا هي ضرورة أن يتلاءم السلوك مع الكلام. فلا يُقال فيه البتة: "الكلام سامٍ وعالٍ؛ أمّا السلوك، فمنخفض ومنحطّ".

مفتدين الوقت، يعني "شراء الفرص كلّها". ففي كل يوم من أيام حياتنا، تُتاح لنا الفرص للشهادة لقدرة الربّ يسوع المسيح المخلّصة. علينا أن نبقى مستعدين باستمرار لاغتنام هذه الفرص. وفعل "الافتداء" هذا يفيد ضمنًا أنّ لهذا الأمر ثمنًا. لكن مهما كان هذا الثمن، ينبغي أن نكون مستعدين للتحدّث عن مخلّصنا العزيز إلى الذين لم يتعرّفوا به بعد.

٤:٦ يجب أن يكون كلامنا كل حين بنعمة، مصلحًا بملح لتعلم كيف يجب أن تجاوب كل واحد. لكي يكون حديثنا كل حين، **بنعمة**، يجب أن يتّصف باللّطف وبالتواضع، وفيه من سجايا المسيح. كذلك يجب أن يخلو من الثرثرة، والتفاهة، والمرارة. والعبارة «**مُصلَحًا بملح**»، قد يكون لها عدة معانٍ. فبعض المفسّرين يرون أن كلامنا يجب أن يكون بإخلاص ومن دون رياء، بالإضافة إلى كونه متسمًّا بالنعمة. ويرى آخرون أن الملح هو الذي يعطي الطعم، فلا يكون حديثنا فارغًا أو باطلاً أو تافهًا، بل بالحري نافعًا أو ذا قيمة. يقول لايتفوت *Lightfoot* إن الكُتّاب الوثنيين استخدموا "الملح" استعارة "للذكاء والفطنة" أمّا بولس فيستخدم الحكمة مكان الفطنة. ولعلّ الطريقة الفضلى لشرح مغزى هذه العبارة هي بدراسة كلمات الربّ يسوع. فهو خاطب المرأة التي ضُبطت وهي ترتكب الزنى بالقول: «ولا أنا أدينك، اذهبي ولا تخطئي أيضًا» هنا نرى النعمة والملح. النعمة أولاً: «ولا أنا أدينك»، ومن ثمّ الملح: «اذهبي ولا تخطئي أيضًا». كذلك قال الربّ يسوع للمرأة عند بئر يعقوب: «أعطيني لأشرب... اذهبي وادعي زوجك». فالعبارة الأولى تتحدث عن النعمة، بينما الثانية تذكّرنا أكثر بالملح.

لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد. لعلّ الرسول بولس كان يفكّر هنا، بشكل خاص، في الغنوسيين الذين أتوا إلى المؤمنين في كولوسي بعقائدهم المنطقية. لذا وجب على المؤمنين أن يكونوا على استعداد لمجاوبة هؤلاء المعلّمين الكذبة بكلمات الحكمة والإخلاص.

د. تلميحات إلى بعض معاوني بولس (٤:٧-١٤)

٤:٧ كان تيخيكس، على ما يبدو، هو الذي اختاره الرسول بولس ليحمل هذه الرسالة من روما إلى كولوسي. لقد حاول ماكلارن *Maclaren* أن يصوّر مقدار الدهشة التي كانت ستعتري تيخيكس لو قيل له "إنّ هذه المخطوطات القليلة سوف تبقى وتدوم حتى

بعد زوال كل بهرجة المدينة وعظمتها، وإنّ اسمه المُدوّن فيها، سيُعرَف في كل أنحاء العالم حتى نهاية الأزمنة".

يؤكّد بولس هنا للقديسين أن تيخيكس **سيعرّفهم** لدى وصوله إليهم **بجميع أحوال** الرسول. وإنّه لأمرٌ جميل أن نقرأ مجدّدًا عن مجموعة الألقاب التي يطلقها بولس على هذا الأخ. فهو يدعوه **الأخ الحبيب، والخادم الأمين، والعبد معنا في الربّ**. وكم يجدر بنا أن نشتهي هذه الألقاب ونفضّلها على الألقاب الإكليركية الطنّانة والرنّانة التي تُطلق في هذه الأيام على المسئولين في الكنيسة.

٤: ٨ كانت سفرة تيخيكس إلى كولوسي ستخدم غرضين: إطلاع القديسين هناك على أوضاع بولس وزملائه في روما، وتعزية قلوب المؤمنين في كولوسي. وهنا، أيضًا، يُرجّح أن فعل التعزية هذا يفيد فكرة "التشديد" أو "التشجيع" (راجع ٢: ٢) أكثر ممّا يشير إلى المؤاساة. كانت خدمته ستؤدي، بشكل عام، إلى مساعدتهم على الثبات والصمود في وجه التعليم المضلّ الذي كان منتشرًا آنذاك.

٤: ٩ إنّ الحديث عن **انسيمس** يذكّرنا بالقصة الممتعة التي تُطلعنا عليها رسالة بولس الرسول إلى فليمون. كان أنسيمس ذلك العبد الفار الذي سعى للهرب من العقاب بالالتجاء إلى روما. لكنّه، بشكل أو بآخر، التقى بولس الذي اقتاده بدوره إلى المسيح. والآن أنسيمس مزمعٌ على العودة إلى سيّده الأسبق فليمون في كولوسي. كان عليه أن يحمل رسالة بولس إلى الكنيسة في كولوسي. حاول أن تتخيّل موجة الابتهاج التي عمّت صفوف المؤمنين في كولوسي لدى وصول الأخوين إلى كولوسي ومعهما الرسالتان من بولس.

لقد جلسوا، ولا شك، حتى ساعة متقدمة من الليل، يسألون عن الأوضاع في روما ويسمعون عن شجاعة بولس في خدمة المخلّص.

٤: ١٠ لا نعرف الكثير عن أرسترخس سوى أنّه كان قد سُجن من جرّاء خدمته للربّ كما هو مدوّن في أعمال **١٩: ٢٩**. وها هو الآن **مأسور مع** بولس في روما.

مرقس مذكور عنه هنا أنّه **ابن أخت برنابا**. كان هذا الشاب قد بدأ في العمل التبشيري برفقة بولس وبرنابا. لكن بعد إخفاقه، ارتأى بولس تركه في البيت، أمّا برنابا فأصرّ على اصطحابه معه. فولّد هذا خلافًا بين الخادمين الأكبر منه سنًّا. غير أنّه حسن أن نتعلّم أنّ فشل مرقس هذا لم يكن نهائيًّا، بل استعاد الآن ثقة الحبيب بولس به.

وفي حال زار مرقس كولوسي، فإنّ القديسين هناك مدعوون إلى **قبوله**. إنّ العبارة «**الذي أخذتم لأجله وصايا**»، لا تعني بالضرورة أنّ المؤمنين في كولوسي كانوا قد حصلوا سابقًا على وصايا بشأن مرقس، بل قد تشير إلى التعليمات التي يوجّهها إليهم بولس في هذا العدد: **إن أتى إليكم فاقبلوه**. وصيغة الفعل «**اقبلوه**» قد تعني هنا، ببساطة، أنّ المؤمنين في كولوسي يكونون قد أخذوا هذه الوصايا حال انتهائهم من قراءة هذه الرسالة. إنّ الكلام هنا عن مرقس، كاتب الإنجيل الثاني، يذكّرنا بأنّنا جميعنا نكتب يومًا فيومًا إنجيلاً:

> كل واحد منا يكتب إنجيلاً، فصلاً واحدًا كل يوم:
> بأعمالنا، ونظراتنا، واستحساناتنا، وأقوالنا.
> لكن تخوننا أعمالنا، ولو كانت كلماتنا صادقة وأمينة.
> فهلاّ تقول لي ما هو الإنجيل الذي يُنسَب إليك؟

٤:١١ ثمة شخص آخر يعمل مع بولس، اسمه **يسوع المدعو يسطس**. كان **يسوع** اسمًا شائعًا في ذلك الزمان، كما أنّه ما زال هكذا في بعض البلدان اليوم، وهو المرادف اليوناني للاسم العبراني "يشوع". كان **يُدعى يسطس** (أي عادلاً) لأنّ أصدقاءه المؤمنين كانوا، ولا شك، يشعرون بأن لا أحد يليق به أن يُطلق عليه الاسم الذي دُعي به ابن الله. كان الرجال الثلاثة المذكورين أخيرًا من اليهود المهتدين. حقًّا كانوا **وحدهم** من بقي من اليهود، سابقًا، ليكونوا **عاملين مع بولس لملكوت الله**. لقد برهن هؤلاء الرجال على أنّهم كانوا **تسلية**، أي تعزية له.

٤:١٢ وإذ يوشك بولس على اختتام رسالته هذه، يذكّره **أبفراس** بأن يسلّم له شخصيًّا على القديسين الأعزّاء في كولوسي. كان أبفراس من كولوسي، وكان باستمرار يتذكّر المؤمنين **في صلواته**، طالبًا إلى الربّ لأجلهم **أن يثبتوا كاملين وممتلئين في كل مشيئة الله**.

٤:١٣ **يشهد** بولس أنّ أبفراس كان يجاهد في الصلاة، لا لأجل الذين في كولوسي فحسب، بل أيضًا لأجل المسيحيين **في لاودكية والذين في هيرابوليس**. لقد كان لهذا الرجل اهتمام خاص بمعارفه من صفوف شعب الله. كان لديه، ولا شكّ، قائمة طويلة بأسماء الذين يصلّي لأجلهم. ولا عجب إن كان يذكر كلّ واحد منهم يوميًّا في صلاته. وهذه الآية أوردتها إحدى الترجمات الإنكليزية (*NEB*) على النحو التالي: "إنّه يصلي لأجلكم كل حين، حتى تثبتوا ناضجين في قناعتكم ومكرّسين بالتمام لفعل إرادة الله".

٤:١٤ والآن يبعث بولس بتحيات **لوقا الطبيب الحبيب وديماس**. كان لوقا قد سافر كثيرًا مع بولس، ويُرجّح أنّه خدمه على كِلا الصعيدين الجسدي والروحي خلال فترات مرضه، واضطهاده، وحبسه.

أمّا **ديماس**، من جهة أخرى، فقد رافق الرسول على مدى فترة قصيرة فقط، لكن كان من الضروري أن يقول فيه الرسول في نهاية المطاف: «ديماس تركني إذ أحبّ العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي» (٢تي٤: ١٠).

هـ. *تحيات وتعليمات* (٤:١٥-١٨)

٤:١٥ يبعث الرسول الآن بتحياته **إلى الإخوة الذين في لاودكية وإلى نمفاس والكنيسة التي في بيته**. إنّنا نقرأ أيضًا عن الكنيسة التي في لاودكية في رؤيا ٣: ١٤-٢٢. فالكنيسة هناك أصبحت فاترة بالنسبة إلى أمور الله. لقد استولت عليها الروح الماديّة، كما أنّها باتت مكتفية بما هي عليه. وأهل لاودكية، في ظنّهم أنّهم كانوا على أحسن حال، لم يعوا حقيقة عريهم. تختلف المخطوطات حول الاسم نمفاس: هل يشير إلى رجل (نمفاس)، أو إلى امرأة (نمفا). لكن حسبُنا أنّه كانت هناك كنيسة في ذلك البيت في كولوسي. ففي تلك الأيام، لم يكن لدى المسيحيين دُور ضخمة للعبادة كالموجودة اليوم. غير أنّنا، في غالبيتنا، نوافق للحال على أنّ قوّة الله داخل كنيسة محليّة هي أهمّ بكثير من البناء الضخم أو من الأثاث الفخم. فالقوّة الروحيّة لا تعتمد على هذه العوامل، بل غالبًا ما تكون أبنية الكنائس الضخمة معوّقًا للقوّة.

٤:١٦ ومتى قُرئت الرسالة في كولوسي، كان يجب إرسالها إلى كنيسة اللاودكيين لكي تُقرأ هناك أيضًا. لقد حصل هذا، ولا شكّ، لكن يبدو لنا، بالاستناد إلى رؤيا٣، أنّ اللاودكيين لم يعيروا مضمون هذه الرسالة أي اهتمام، على الأقل على المدى الطويل.

بولس يدعو أيضًا إلى ضرورة قراءة **الرسالة التي من لاودكية في كولوسي**، لا سبيل لنا إلى معرفة مضمون الرسالة المُشار إليها هنا. يظن بعضهم أن "الرسالة إلى أفسس" هي المقصودة هنا. ذلك لأنّ بعض المخطوطات حذفت، العبارة "إلى أفسس" من أفسس١: ١. وهذا ما حدا ببعض المفسرين إلى الاعتقاد أنّ الرسالة إلى أفسس كانت بمثابة رسالة دوّارة أو سيّارة مُعَدّة لتُقرأ في عدّة كنائس مختلفة تضمّ مثلاً أفسس، ولاودكية ومن ثم كولوسي. كما أنّ ظاهرة قلّة المراجع الشخصيّة في رسالة أفسس، بالمقارنة مع تلك التي في رسالة كولوسي، تأتي لتدعم هذه النظرية.

٤:١٧ أرخبّس مدعو إلى **النظر إلى الخدمة التي قبلها في الربّ لكي يتمّمها**. وهنا أيضًا، لا نملك أيّة معلومات محدّدة بشأن الخدمة المُشار إليها في هذا العدد. لقد اعتبر كثيرون أن أرخبس كان ابنًا لفليمون، وأنّه كان يخدم في كنيسة كولوسي. وهذا العدد سيكتسب معاني أعمق بالنسبة إلينا، إذا افترضنا أن اسمنا هو أرخبّس، وسمعنا روح الله، وهو يخاطبنا بالقول: «**أنظر إلى الخدمة التي قبلتها في الربّ لكي تتمّمها**». فكلّ واحد منّا أعطاه الربّ خدمة ما، وسوف نُطالَب ذات يوم بأن نُعطي حسابًا عمّا فعلنا بها.

٤:١٨ عند هذا الحدّ، تناول الرسول القلم بيده لكي يدوّن تحيته الختامية مستخدمًا في ذلك اسمه الأممي بولس. إن **وثقه** عوقته، ولا شكّ، عندما كان يوقّع الرسالة، لكنّها ذكّرته بأن يقول للمؤمنين في كولوسي: **اذكروا وثقي**. "إنّ صوت القلم المقترن بصوت الوُثق هو العلامة النهائية على أنّ وثق المُبشّر لا يمكنها أن تقيّد كلمة الله". ثم اختتم الرسالة بالعبارة: **النعمة معكم. آمين**. كتب أ.ت. روبرتسون *A.T.Robertson* معلّقًا على هذا: "ليس ثمة كلمة أغنى من الكلمة "نعمة"، لأنّها تحمل في طيّها كلّ محبّة الله كما تُرى في بذله ابنه عطيّة لأجلنا". آمين.